٨١

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

في هذه السنة سيّر عبدُ الملك بن مروان ابنَه عُبيد الله ففتح قالِيقَلا[١].

ذكر مقتل بَحِير بن ورقاء

وفي هذه السنة قُتل بحير بن ورقاء الصُّرَيْميُّ.

وكان سبب قتله أنّه لما قُتل بُكَير بن وسّاج[٢]، وكلاهما تميميّان، بأمر[٣] أميّة بن عبد الله بن خالد إيّاه بذلك، كما تقدّم ذكره، قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بني عَوْف بن سعد من الأبناء يحرّض بعض آل بُكَير من الأبناء، والأبناء عدّة بطون من تميم سُمّوا بذلك:

لَعَمْري لقد أغضَيتَ عيناً على القَذَى ... وبِتَّ بَطِيناً من رَحيقٍ مُرَوَّقِ[٤]

وخلّيتَ[٥] ثأراً طُلَّ واختَرْت نَوْمَةً ... ومَن يشربِ[٦] الصّهباءَ بالوِتْرِ يُسبقِ

فلوْ كنتَ من عَوْفِ بن سعدٍ ذؤابَةً ... تركتَ بَحِيراً في دَمٍ مُتَرَقْرِقِ

فقل لبَحير نَمْ وَلا تخشَ ثائراً ... ببَكْرٍ[٧] فعَوْفٌ أهل شاءٍ[٨] حبَلَّقِ[٩]

دَعِ[١٠] الضّأنَ يوْماً قد سُبِقتم بوِتْركمْ ... وَصرْتمْ حديثاً بينَ غرْبٍ ومشرِقِ

---

(١) الطبري ٦/٣٣١، البداية والنهاية ٩/٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٠٢.

(٢) الطبري «وشاح».

(٣) في الأوربية: «يأمر».

(٤) في معجم الشعراء للمرزباني «معتق».

(٥) في المعجم: «وخيلت».

(٦) الطبري: «شرب».

(٧) في المعجم، والطبري: «بعَوْفٍ».

(٨) الطبري: «شاةٍ».

(٩) الحَبَلَّق: صغار الغنم.

(١٠) في الأوربية: «دعوا».

وهُبّـوا فلَوْ أمسَى بُكَيـرٌ كـعَهـدِهِ لَغـاداهُمُ زحفـاً[١] بجـأواءَ[٢] فَيْلَقِ[٣]

وقال أيضاً:

فلوْ كـانَ بَـكْـرٌ بـارِزاً فـي أداتِـهِ وذي العـرْشِ لم يُقْـدِمْ عليـهِ بَحِيـرُ
ففي الدّهـرِ إن أبقانيَ الدّهـرُ مَطْلَبٌ[٤] وَفـي الـلّهِ طَـلاّبٌ بـذاكَ جَـديـرُ[٥]

فبلغ بَحيراً أنّ رهط بُكير من الأبناء يتوعّدونه فقال:

تـوعّـدني الأبْنـاءُ جَـهـلاً كـأنّمـا يـرَوْنَ فِنـائي مُقْفِـراً من بني كَعبِ
رفعتُ لَـه كَفّـي بـعَـضْبٍ[٦] مُهـنّـدٍ حُسـامٍ[٧] كلوْن الثّلج[٨] ذي رَونق عَضْبِ[٩]

فتعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عَوْف على الطلب بدم بُكَيْر، فخرج فتًى منهم يُقال له شَمَرْدل[١٠] من البادية حتّى قدِم خُراسان، فرأى بَحيراً واقفاً فحمل عليه، فطعنه فصرعه وظنّ أنّه قد قتله، فقال الناس: خارجيّ، وراكَضَهُم، فعثر به فرسُه فسقط عنه فقُتل.

وخرج صَعْصَعة بن حرب العَوْفيّ من البادية، وقد باع غُنيمات له، ومضى إلى سِجِسْتان فجاور قرابةً لبحير مدّة، وادّعى إلى بني حنيفة من اليمامة، وأطال مُجالستهم حتّى أنِسوا به، ثمّ قال لهم: إنّ لي بخُراسان ميراثاً، فاكتبوا لي إلى بَحير كتاباً ليُعِينني على حقّي. فكتبوا له، وسار فقدِم على بَحِير وهو مع المهلّب في غزوته، فلقي قوماً من بني عَوف، فأخبرهم أمره، ولقِي بَحيراً فأخبره أنّه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة، وأنّ له مالاً بسجستان وميراثاً بمرو، وقدِم ليبيعه ويعود إلى اليمامة. فأنزله بَحير وأمر له بنفقة ووعده، فقال صعصعة: أقيم عندك حتّى يرجع الناس؛ فأقام شهراً يحضر معه باب المهلّب، وكان بَحيرٌ قد حذِر، فلمّا أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر أنّه من حنيفة آمنه.

---

(١) الطبري: «صحيحاً لغاداهم».
(٢) كتيبة جأواء: بيِّنة الجأي. وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع. (لسان العرب).
(٣) في الأوربية: «لعاداهم زحفاً بجاء وأفلق»، والأبيات في: معجم الشعراء للمرزباني ٩١، وتاريخ الطبري ٦/٣٣١، ونهاية الأرب ٢١/٢٢٩، ٢٣٠.
(٤) في الأوربية: «فطلب».
(٥) الطبري ٦/٣٣١، ٣٣٢، نهاية الأرب ٢١/٢٣٠.
(٦) في الأوربية: «بسيف»، والطبري: «بحدّ».
(٧) في (ر): «خيام».
(٨) في الأوربية: «حتام كلون السلح»، والطبري، ونهاية الأرب «الملح».
(٩) الطبري ٦/٣٣٢، نهاية الأرب ٢١/٢٣٠، ٢٣١.
(١٠) الطبري: «الشمردل».

فجاء يوماً صعصعة وبحير عند المهلّب عليه قميص ورداء، فقعد خلفه، ودنا منه كأنّه يكلّمه، فوجأه بخنجرٍ معه في خاصرته، فغيّبه في جوفه، ونادى: يا لثارات بُكَير! فأُخذ وأُتي به المُهلّب، فقال له: بؤساً لك! ما أدركتَ بثأرك وقتلتَ نفسك، وما على بَحِير بأس. فقال: لقد طعنتُه طعنةً لو قُسّمتْ بين الناس لماتوا، ولقد وجدتُ ريح بطنه في يدي. فحبسه، فدخل عليه قومٌ من الأبناء فقبّلوا رأسه. ومات بَحِير من الغد، فقال صعصعة لمّا مات بَحِير: اصنعوا الآن ما شئتم، أليس قد حَلّت نُذور أبناء بني عوف وأدركتُ بثأري؟ والله لقد أمكنني منه خالياً غير مرّة فكرهتُ أن أقتله سرّاً. فقال المهلّب: ما رأيتُ رجلاً أسخى نفساً بالموت من هذا. وأمر بقتله فقُتل.

وقيل: إنّ المهلّب بعثه إلى بَحِير قبل أن يموت، فقتله، ومات بَحِير بعده.

وعظُم موته على المهلّب، وغضبت عوْف والأبناء وقالوا: علامَ قُتل صاحبنا وإنّما أخذ بثأره؟ فنازعهم مُقاعس والبطون، وكلّهم بطون من تميم، حتّى خاف الناس أن يعظُم الأمر، فقال أهل الحِجَى: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بَحير ببُكَير، فودَوا صَعصعة؛ فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة:

لِلَّهِ دَرُّ فَتًى تَجاوَزَ هَمُّهُ	دونَ العراقِ مَفاوزاً وبُحُورَا
ما زالَ يُدئبُ[1] نَفسَه وركابَهُ[2]	حتّى تَناوَلَ في الحُرُوبِ[3] بَحيرَا[4]

ذكر دخول الدَّيْلم قزوين وما كان منهم

كانت قَزْوين ثغر المسلمين من ناحية دَيْلم، فكانت العساكر لا تبرح مُرابِطةً بها، يتحارسون ليلاً ونهاراً، فلمّا كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمّد بن أبي سَبْرَة الجُعْفيُّ، وكان فارساً شجاعاً عظيم الغَناء في حروبه، فلمّا قدِم قَزوينَ رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل، فقال لهم: أتخافون أن يدخلَ عليكم العدوّ مدينتكم؟ قالوا: نعم. قال: لقد أنصفوكم إن فعلوا، افتحوا الأبواب ولا بأسَ عليكم، ففتحوها.

وبلغ ذلك الديلم فساروا إليهم وبيّتوهم وهجموا إلى البلد، وتصايح الناسُ، فقال ابن أبي سَبْرة: أغلِقوا أبواب المدينة علينا وعليهم، فقد أنصفونا وقاتِلوهم. فأغلقوا

---

(١) الطبري «يدأب».

(٢) الطبري «ويكُدُّها».

(٣) الطبري «خرون»، نهاية الأرب «الحُزُون».

(٤) الطبري ٦/٣٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٣٢.

الأبواب وقاتلوهم، وأبلى ابن أبي سبرة بلاءً عظيماً، وظفر بهم المسلمون، فلم يُفلت من الدَّيلم أحد، واشتهر اسمه بذلك، ولم يَعُد الدَّيلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم. فصار محمّد فارس ذلك الثغر المشار إليه، وكان يدمن شرب الخمر، وبقي كذلك إلى أيّام عمر بن عبد العزيز، فأمر بتسييره إلى زُرارة، وهي دار الفُسّاق بالكوفة، فسُيّر إليها، فأغارت الدّيلم ونالت من المسلمين، وظهر الخلل بعده، فكتبوا إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه أن يردّ عليهم ابن أبي سبرة، فكتب بذلك إلى عمر، فأذِن له في عَوْده إلى الثغر، فعاد إليه وحماه.

ولمحمّد أخٌ يُقال له خُثَيمة بن عبد الرحمن، وهو اسم أبي سَبْرة، وكان من الفقهاء[1].

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمّد بن الأشْعث على الحجّاج

وفي هذه السنة خالف عبدُ الرحمن بن محمّد بن الأشعث ومَنْ معه من جُند العراق على الحجّاج، وأقبلوا إليه لحربه، وقيل: كان ذلك سنة اثنتين وثمانين. وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج لمّا بعث عبدَ الرحمن بن محمّد على الجيش إلى بلاد رُتبيل، فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون كتب إلى الحجّاج يعرّفه ذلك، وأنّ رأيه أن يتركوا التوغّل في بلاد رُتبيل حتّى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها، على ما سبق ذكره.

فلمّا أتَى كتابه إلى الحجّاج كتب جوابَه: إنّ كتابك كتاب امرىء يحبّ الهُدْنة ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوّاً قليلاً ذليلاً، قد أصابوا [من] المسلمين[2] جُنداً كان بلاؤهم حسناً وغَناؤهم عظيماً، وإنّك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجندي وحدّي لسخيٌّ[3] النفس بمن أُصيب[4] من المسلمين، فامضِ لما أمرتُك به من الوُغول في أرضهم والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم[5] وسبْي ذراريّهم، ثمّ أردفه كتاباً آخر بنحو ذلك، وفيه: أمّا بعدُ فمُرْ مَنْ قِبَلك من المسلمين فلْيحرقوا وليقيموا بها، فإنّها دارهم حتّى يفتحها الله عليهم. ثمّ كتب إليه ثالثاً بذلك، ويقول له: إن مضيت لما أمرتُك وإلاّ فأخوك إسحاق بن محمّد أمير الناس.

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٢٠٢.
(٢) في الأوربية: «المسلمون».
(٣) في الأوربية: «تسخى».
(٤) في الأوربية: «أصبت».
(٥) في الأوربية: «مقاتلهم».

فدعا عبدُ الرحمن الناسَ وقال لهم: أيّها النّاس إنّي لكم ناصح ولصلاحكم محبّ، ولكم في كلٍّ ما يحيط بكم نفعه[1] ناظرٌ، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوّي بما رضيه ذوو[2] أحلامكم وأولو التجربة منكم، وكتبتُ بذلك إلى أميركم الحجّاج، فأتاني كتابه يعجّزني ويضعّفني، ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدوّ، وهي البلاد الّتي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنّما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وآبَى إذا أبيتم.

فثار[3] إليه الناس وقالوا: بل نأبَى على عدوّ الله، ولا نسمع له ولا نطيع. فكان أوّل مَنْ تكلّم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة الكِنانيُّ، وله صُحْبة، فقال بعد جمد الله: أمّا بعد فإنّ الحجّاج يرى بكم ما رأى القائل الأوّل: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك[4]، وإن نجا فلك. إنّ الحجّاج ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمَكم بلاداً[5] كثيرة، ويغشى اللُّهوب واللُّصوب[6]، فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإنْ ظفر عدوّكم كنتم[7] أنتم الأعداء البُغَضاء الذين لا يبالي عَنَتَهم ولا يبقي عليهم. اخلعوا عدوّ الله الحجّاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإنّي أُشهدكم أنّي أوّل خالع. فنادى الناس من كلّ جانب: فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدوّ الله.

وقام عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعيّ فقال: عبادَ الله! إنّكم إن أطعتم الحجّاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمّركم تجمير فرعون الجنودَ، فإنّه بلغني أنّه أوّل من جَمّر البعوث، ولن تُعاينوا الأحبّة أو يموت أكثركم فيما أرى، فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوّكم الحجّاج فانفوه عن بلادكم. فوثب الناس إلى عبد الرحمن، فبايعوه على خلع الحجّاج ونفيْه من أرض العراق وعلى النُّصرة له، ولم يُذْكَر عبد الملك.

وجعل عبدُ الرحمن على بُسْت عياضَ بن هِمْيان الشيبانيَّ، وعلى زَرَنْج عبدَ الله بن عامر التميميَّ، وصالح رُتبيلَ على أنّ ابن الأشعث إنْ ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هُزم فأراد مَنَعه. ثمّ رجع إلى العراق، فسار بين يديه أعشى همدان وهو يقول:

---

(١) في الأوربية: «به نفعكم».
(٢) في الأوربية: «ذو».
(٣) في الأوربية: «فثاروا».
(٤) في الأوربية: «فلك».
(٥) في الأوربية: «بلايا».
(٦) في الأوربية: «اللهوب: جمع لهب وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه. واللصوب: جمع لصب وهو مضيق الوادي».
(٧) في الأوربية: «لستم».

شَطَّتْ نَوَى مَنْ دارُهُ بالإيوانْ | إيوان كسرَى ذي القُرى والرَّيْحانْ
مِن عاشِقٍ أمسَى[1] بزابُلِسْتانْ | إنَّ ثَقِيفاً منهُمُ الكذّابانْ
كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ | أمكَنَ رَبّي من ثقيفِ هَمدانْ
يوماً إلى اللّيل يُسلّي ما كانْ | إنّا سَمَونا للكَفور الفَتّانْ
حين طغَى في الكفر بعد الإيمانْ[2] | بالسيّد الغِطريف عبد الرحمنْ
سارَ بجَمعٍ كالدَّبا[3] من قَحطانْ | ومن مَعدٍّ قد أتى ابنُ[4] عَدنانْ
بجحفلٍ جَمٍّ شديدِ الأركانْ[5] | فقُلْ لحَجّاجٍ وليِّ الشيطانْ
يثبُتْ[6] بجمعِ مَذْحِجٍ وهَمدانْ | فإنّهم ساقُوهُ كأسَ الذَّيفانْ

ومُلْحِقوه بقُرَى ابن مَرْوانْ[7]

وجعل عبدُ الرحمن على مقدّمته عطيّةَ بن عَمرو العنبريَّ، وجعل على كَرمان حَريثة بن عَمرو التميميَّ، فلمّا بلغ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إذا خلعنا الحجّاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك. فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أوّل الناس خلع عبدَ الملك تِيجان بن أبْجر من تَيْم الله بن ثعلبة، قام فقال: أيّها الناس إنّي خلعتُ أبا ذِبّان كخلعي[8] قميصي. فخلعه الناسُ إلّا قليلاً منهم، وبايعوا عبد الرحمن، وكانت بيعته: نبايع[9] على كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلْعهم، وجهاد المُحِلّين.

فلمّا بلغ الحَجّاجَ خلْعُه كتب إلى عبد الملك بخبر عبد الرحمن، ويسأله أن يعجّل بعثة الجنود إليه، وسار الحجّاج حتّى نزل البصرة، ولمّا بلغ المهلّبَ خبرُ عبد الرحمن كتب إلى الحجّاج من خُراسان: أمّا بعدُ فإنّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل، ليس يردّهم شيء حتّى ينتهي إلى قراره، وإنّ لأهل العراق شِرّة[10] في أوّل مخرجهم،

(١) في (ب) و (ر): «أمتي».
(٢) الأغاني: «لما سَفَوْنا للكَفُور الفتّان».
(٣) في الأغاني: «كالقطا».
(٤) في الأوربية: «من».
(٥) الطبري: «الإرنان».
(٦) في نسخة مكتبة بودليان: «نثبت».
(٧) الطبري ٦/٣٣٧، وأورد أبو الفرج (٤) أبيات يختلف بعضها عمّا هنا (٦/٥٩)، وفي مروج الذهب ٣ أبيات وشطر. (مروج الذهب ٣/١٦٣).
(٨) في الأوربية: «كخلع».
(٩) في الأوربية: «نبايعوا».
(١٠) في الأوربية: «شدّة».

وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فاتركهم حتّى يسقطوا إلى أهاليهم ويشمّوا[1] أولادهم، ثمّ واقعْهم عندها، فإنّ الله ناصرك عليهم. فلمّا قرأ كتابه سبّه وقال: ما إليّ نظر، وإنّما النظر لابن عمّه، يعني عبد الرحمن.

ولما وصل كتاب الحجّاج إلى عبد الملك هاله، ودعا خالد بن يزيد، فأقرأه الكتاب، فقال: يا أمير المؤمنين إنْ كان الحدث من سجِستان فلا تَخَفْه، فإنْ كان من خُراسان فإنّي أتخوّفه، فجهّز عبد الملك الجُند إلى الحجّاج، فكانوا يصلون إلى الحجّاج على البريد، من مائةٍ، ومن خمسين، وأقلّ وأكثر، وكُتب الحجّاج تتّصل[2] بعبد الملك كلّ يوم بخبر عبد الرحمن. فسار الحجّاج من البصرة ليلتقي عبد الرحمن، فنزل تُسْتَر، وقدّم بين يديه مقدّمة إلى دُجَيْل، فلقوا عنده خيلاً لعبد الرحمن، فانهزم أصحاب الحجّاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين، وقُتل منهم جمع كثير.

فلمّا أتَى خبرُ الهزيمة إلى الحجّاج رجع إلى البصرة، وتبِعه أصحاب عبد الرحمن، فقتلوا منهم، وأصابوا بعضَ أثقالهم، وأقبل الحجّاج حتّى نزل الزاوية، وجمع عنده الطعام، وترك البصرة لأهل العراق، ولما رجع نظر في كتاب المهلّب فقال: لله درّه أي صاحب حرب هو! وفرّق في الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم.

فأقبل عبد الرحمن حتّى دخل البصرة، فبايعه جميع أهلها قرّاؤها وكهولها، مستبصرين في قتال الحجّاج، ومَنْ معه من أهل الشام. وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه: إنّ الخراج قد انكسر، وإنّ أهل الذمّة قد أسلموا ولحِقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها: إنّ مَنْ كان له أصل من قرية فليخرجْ إليها، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية، فجعلوا يبكون وينادون: يا محمّداه يا محمّداه! ولا يدرون أين يذهبون، وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يرون، فلمّا قدِم ابن الأشعث عُقَيْب ذلك بايعوه على حرْب الحجّاج وخلْع عبد الملك.

وخندق الحجّاج على نفسه، وخندق عبد الرحمن على البصرة؛ وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجّة[3].

---

(١) في (ر): «يشفوا».

(٢) في الأوربية: «يتصل».

(٣) الطبري ٦/٣٣٤ ـ ٣٤١، نهاية الأرب ٢١/٢٣٣ ـ ٢٣٧، البداية والنهاية ٩/٣٥ ـ ٣٧.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك[1].

وكان ممّن حجّ أمّ الدرداء الصغرى[2].

وفيها وُلد ابن أبي ذئب[3].

وكان العامل على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كلّه الحجّاج، وعلى خُراسان المهلّب، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَيْنة[4]. وكانت سَجِستان وكَرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٨١، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٤١، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٣، نهاية الأرب ٢١/٢٥٩، وفي البداية والنهاية ٩/٣٧: وحجّ بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٧.

(٢) تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٧.

(٣) الطبري ٦/٣٤١.

(٤) الطبري ٦/٣٤١.

٨٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الحرب بين الحجّاج وابن الأشعث

قيل: في المحرّم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجّاج وعسكرُ عبد الرحمن بن الأشعث قتالاً شديداً، فتزاحفوا في المحرّم عدّة دفعات، فلمّا كان ذات يوم في آخر المحرّم اشتدّ قتالهم، فانهزم أصحابُ الحجّاج حتّى انتهوا إليه، وقاتلوا على خنادقهم، ثمّ إنّهم تزاحفوا آخر يوم من المحرّم، فجال أصحاب الحجّاج وتقوّض صفّهم، فجثا الحجّاج على رُكبتَيْه وقال: لله دَرّ مُصْعب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل، وعزم على أنّه لا يفرّ.

فحمل سفيان بن الأبرد الكلبيُّ على الميمنة الّتي لعبد الرحمن فهزمها، وانهزم أهلُ العراق، وأقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن، وقُتل منهم خلق كثير، منهم عُقْبة بن عبد الغافر الأزديُّ، وجماعة من القرّاء، قُتلوا ربضةً واحدة معه.

ولما بلغ عبدُ الرحمن الكوفة تبعه أهل القوّة وأصحاب الخيل من أهل البصرة، واجتمع مَن بقي في البصرة (مع عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب فبايعوه، فقاتل بهم الحجّاجَ خمس ليالٍ أشدّ قتال رآه الناس، ثمّ انصرف فلحِق بابن الأشعث، وتبِعه طائفة من أهل البصرة)[1]، وقُتل منهم طُفَيْل بن عامر بن واثلة، فقال أبوه يرثيه، وهو من الصحابة:

خلّى طُفَيْلُ عليّ الهمَّ فانشَعَبَا[2] ... وَهَدّ ذلك رُكني هَدّةً عَجَبَا[3]

مهما نسيتُ فلا أنساهُ إذْ حدقتْ ... بهِ الأسنّةُ مَقتُولاً ومنسلبَا[4]

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) الأغاني: «خلّى عليَّ طُفَيلُ الهمّ وانشعبا».

(٣) البيت في: الأغاني ١٥/١٥٣.

(٤) البيت لم يذكره الطبري.

وأخطأتني المنايا لا تطالعني حتّى كبرتُ ولم يتركن لي نَشَبا[1]
وكنتُ بعد طُفيلٍ كالذي نضبتْ عنهُ السّيولُ وغاضَ[2] الماءُ فانقضبا[3]

وهي أبيات عدّة. وهذه الوقعة تسمّى يوم الزاوية.

فأقام الحجّاج أوّل صفر، واستعمل على البصرة الحكَمَ بن أيّوب الثقفيَّ. وسار عبد الرحمن إلى الكوفة، وقد كان الحجّاج استعمل عليها عند مسيره إلى البصرة عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرميَّ حليف بني أميّة، فقصده مَطَر بن ناجية اليربوعيُّ، فتحصّن منه ابن الحضرميّ في القصر، ووثب أهل الكوفة مع مطر، فأخرج ابنَ الحضرميّ ومَنْ معه من أهل الشام، وكانوا أربعة آلاف، واستولى مطرٌ على القصر، واجتمع الناس، وفرّق فيهم مائتيْ درهم، مائتي درهم.

فلمّا وصل ابن الأشعث إلى الكوفة كان مَطَر بالقصر، فخرج أهلُ الكوفة يستقبلونه، ودخل الكوفة وقد سبق إليه هَمْدان، فكانوا حوله، فأتى القصر، فمنعه مطر بن ناجية، ومعه جماعة[4] من بني تميم، فأصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم إلى القصر، فأخذوه، فأُتي عبد الرحمن بمَطَر بن ناجية فحبسه، ثمّ أطلقه وصار معه. فلمّا استقرّ عبد الرحمن بالكوفة اجتمع إليه الناس، وقصده أهل البصرة، منهم عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة الهاشميُّ بعد قتاله الحجّاج بالبصرة[5].

وقتل الحجّاج يوم الزاوية بعد الهزيمة أحد عشر ألفاً، خدعهم بالأمان، وأمر منادياً فنادى: لا أمان لفُلان بن فلان، فسمّى رجالاً، فقال العامّة: قد آمن الناس، فحضروا عنده، فأمر بهم فقُتلوا.

ذكر وقعة دير الجماجم

وكانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وقيل: كانت سنة ثلاثٍ وثمانين.

وكان سببها أنّ الحجّاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمّد، فنزل دَيْر قُرّة، وخرج عبد الرحمن من الكوفة، فنزل دَيْر الجماجم. فقال الحجّاج: إنّ

(١) في الأوربية «نسبا».
(٢) الطبري «المياه وفاض».
(٣) الطبري ٦/٣٤٤ وفيه أبيات أخرى. وفي الأوربية: «وانضبا».
(٤) في الأوربية: «جمعة».
(٥) الطبري ٦/٣٤٢ ـ ٣٤٥، نهاية الأرب ٢١/٢٣٧ ـ ٢٣٩، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٩.

عبد الرحمن نزل دير الجماجم، ونزلتُ دير القُرّة، أمَا تزجر[1] الطير؟ واجتمع إلى عبد الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة والقُرّاءُ وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم، فاجتمعوا على حرب الحجّاج لبُغضه، وكانوا مائة ألف ممّنْ يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم، وجاءت الحجّاج أيضاً أمداد من الشام قبل نزوله بدير قُرّة، وخندق كلٌّ منهما على نفسه، فكان الناس يقتتلون كلّ يوم، ولا يزال أحدهما يُدْني خندقه من الآخر.

ثمّ إنّ عبد الملك وأهل الشام قالوا: إن كان يرضى أهل العراق بنزع الحجّاج عنهم نزعناه، فإنّ عزله أيسر من حربهم، ونحقن بذلك الدماء. فبعث عبد الملك ابنَه عبد الله، وأخاه محمد بن مروان، وكان محمّد بأرض الموصل، إلى الحجّاج في جُند كثيف، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزْل الحجّاج، وأن يُجْرِيا عليهم أعطياتهم كما تُجرى[2] على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن بن محمد أيّ بلدٍ شاء من بلد العراق، فإذا نزله كان والياً عليه ما دام حيّاً وعبد الملك خليفةً، فإنْ أجاب أهلِ العراق إلى ذلك عزلا الحجّاج عنها، وصار محمّد بن مروان أمير العراق، وإن أبَى أهلُ العراق قبول ذلك، فالحجّاج أمير الجماعة، ووالي القتال، ومحمّد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

فلم يأتِ الحجّاجَ أمرٌ قطّ كان أشدّ عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك، مخافة[3] أن يقبل أهل العراق عزله فيُعْزَل عنهم، فكتب إلى عبد الملك: والله لو أعطيتَ أهل العراق نزعي لم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلاّ جرأة عليك، ألم ترَ ويبلغك وثوبُ أهل العراق مع الأشتر على ابن عفّان، وسؤآلهم نزْع سعيد بن العاص، فلمّا نزعه لم تتمّ لهم السنة حتّى ساروا إلى عثمان فقتلوه، و «إنّ الحديد بالحديد يُفْلَح»[4].

فأبَى عبد الملك إلاّ عرض عزْله على أهل العراق. فلمّا اجتمع عبد الله ومحمّد مع الحجّاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال: يا أهل العراق، أنا ابنُ أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا. وخرج محمّد بن مروان وقال: أنا رسول أمير المؤمنين، وهو يعرض عليكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال. فقالوا: نرجع العشيّة، فرجعوا واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث، فقال لهم: قد أُعطيتم أمراً، انتهازكم اليوم إيّاه فرصة، وإنّكم اليوم على النَّصَف، فإن كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية، فأنتم تعتدون عليهم بيوم تُسْتَر،

(١) في الأصول: «ترجز».

(٢) في الأوربية: «يجري».

(٣) في الأوربية: «فخافه».

(٤) مجمع الأمثال ١/٩.

فاقبلوا ما عرضوا عليكم، وأنتم أعزّاء أقوياء لقومٍ هم لكم هائبون، وأنتم لهم منتقصون[1]، فوالله لا زلتم عليهم جُرَآء وعندهم أعزّاء أبداً، ما بقيتم، إن أنتم قبلتم.

فوثب الناس من كلّ جانب فقالوا: إنّ الله قد أهلكهم، فأصبحوا في الضُّنْك والمجاعة والقِلّة والذُّلّة، ونحن ذَوو العدد الكثير، والسعر الرخيص، والمادّة القريبة، لا والله لا نقبل! وأعادوا خلعه ثانية.

وكان أوّل مَنْ قام بخَلعه بدَيْر الجماجم عبدُ الله بن ذُؤاب السُّلَميُّ، وعُمَير بن تِيجان، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلْعهم إيّاه بفارس.

فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمّد بن مروان للحجّاج: شأنك بعسكرك وجُندك، واعمل برأيك، فإنّا قد أُمرنا أن نسمع لك ونطيع. فقال: قد قلت: إنّه لا يُراد بهذا الأمر غيركم، فكانا يسلّمان عليه بالإمرة، ويسلّم عليهما بالإمرة. فلمّا اجتمع أهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن: ألا إنّ بني مروان يعيَّرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصحّ منه، إلاّ أنّ بني [أبي] العاص أعلاج من أهل صَفُّوريَة، فإن يكن هذا الأمر (في قريش فعنّي فُقئت)[2] بيضة قريش، وإن يكُ في العرب فأنا ابنُ الأشعث، ومدّ بها صوته يُسمع الناسَ، وبرزوا للقتال.

فجعل الحجّاجُ على ميمنته عبدَ الرحمن بن سُلَيم الكلبيَّ، وعلى ميسرته عُمارة بن تميم اللخْميَّ، وعلى خيله سُفيان بن الأبرد الكلبيَّ، وعلى رجاله عبدَ الله بن خُبَيب الحكميَّ؛ وجعل عبدُ الرحمن على ميمنته الحجّاجَ بن حارثة الخثعميَّ، وعلى ميسرته الأبرد بن قُرّة التميميَّ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة الهاشميَّ، وعلى رجاله محمّد بن سعد بن أبي وقّاص، وعلى مجنّبته[3] عبد الله بن رِزام الحارثيّ، وجعل على القرّاء جَبَلة بن زَحْر بن قيس الجُعفيَّ، وفيهم سعيد بن جُبَير، وعامر الشَّعبيُّ، وأبو البَخْتريّ الطّائيُّ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[4].

ثمّ أخذوا يتزاحفون كلّ يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة وسوادها، وهم في خصْب، وأهل الشام في ضنك شديد، قد غلتْ عليهم الأسعار، وفُقد عندهم اللحم كأنهم في حصار، وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون. فلمّا كان اليوم الذي قُتل فيه جَبَلَة بن زَحْر بن قيس، وكانت كتيبته تُدْعى القرّاء تحمل عليهم فلا

---

(١) في الأوربية: «منتقضون».
(٢) في الأوربية: «من قريش فمني تقوّيت».
(٣) في (ر): «مجففته».
(٤) في الأوربية «ليلة».

يبرحون، وكانوا قد عُرفوا بذلك، وكان فيهم كُمَيْل بن زياد، وكان رجلاً ركيناً. فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وعبّأ الحجّاج صفوفه، وعبّأ عبد الرحمن أصحابه، وعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب، وبعث عليها الجرّاح بن عبد الله الحكميَّ، فأقبلوا نحوهم، فحملوا على القرّاء ثلاث حملات كلّ كتيبة تحمل حملة، فلم يبرحوا وصبروا[1].

ذكر وفاة المُغيرة بن المهلّب

وفي هذه السنة مات المغيرة بن المهلّب بخُراسان، وكان قد استخلفه أبوه المهلّب على عمله بخُراسان، فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين، فأتَى الخبرُ يزيدَ بن المهلّب وأهل العسكر، فلم يُخبروا المهلّب، فأمر يزيد النساء فصرخْن، فقال المهلّب: ما هذا؟ فقيل: مات المغيرة. فاسترجع وجزع حتّى ظهر جزعُه، فلامه بعضُ خاصّته، ثمّ دعا يزيدَ ووجّهه إلى مرو، ووصّاه بما يعمل، وإنّ دموعه لتنحدر[2] على لحيته.

فكان المهلّب مقيماً بكشّ بما وراء النهر يحارب أهلها، فسار يزيد في ستّين فارساً[3]، ويقال سبعين، فلقيهم خمسمائة من التّرك في مفازة بُسْت، فقالوا: ما أنتُم؟ قالوا: تُجّار. قالوا: فأعطونا شيئاً. فأبَى يزيد، فأعطاهم مُجّاعة بن عبد الرحمن العَتَكيّ ثوباً وكرابيس وقَوْساً، فانصرفوا ثمّ غدروا وعادوا إليهم، فقاتلوهم، فاشتدّ القتال [بينهم]، ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد أخذه، فقال: استبقِني، فاستبقاه. فحمل الخارجيُّ عليهم حتّى خالطهم[4] وصار من ورائهم، وقتل رجلاً، ثمّ كرّ حتّى خالطهم، وقتل رجلاً، ورجع إلى يزيد، وقتل يزيد عظيماً من عُظَمائهم، ورُمي يزيد في ساقه، فاشتدّت شوكتهم، وصبر [لهم] يزيد حتّى حاجزوهم[5]، فقالوا: قد غدرنا، ولا ننصرف حتّى نموت أو تموتوا، أو تُعطونا شيئاً، فلم يُعطِهم يزيد شيئاً. فقال مجّاعة: أذكّرك الله، قد هلك المغيرةُ، فأنشدك الله أن تهلك فتجتمع على المهلّب المصيبة. فقال: إنّ المغيرة لم يعدُ أجله، ولستُ أعدو أجلي. فرمى إليهم مجّاعة بعمامة صفراء، فأخذوها وانصرفوا[6].

---

(١) الطبري ٦/٣٤٦ - ٣٥٠، نهاية الأرب ٢١/٢٣٩، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٩، ١٠، البداية والنهاية ٩/٤٠ - ٤٢، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٧/١٣٦ وما بعدها.

(٢) في الأوربية: «ستحدر».

(٣) في الأوربية: «فارس».

(٤) في الأوربية: «يخالطهم».

(٥) في الأوربية: «جازوهم».

(٦) الطبري ٦/٣٥٠، ٣٥١.

ذكر صلح المهلّب أهل كِشّ

وفي هذه السنة صالح المهلّبُ أهلَ كِشّ.

وكان سبب ذلك أنّه اتّهم قوماً من مُضَرٍ فحبسهم، وصالح، وقفل وخلّف حُرَيْث بن قُطْبة مولى خُزاعة وقال: إذا استوفيت الفِدية فَرُدَّ عليهم الرهن.

وسار المهلّب فلمّا صار ببَلْخ وكتب إلى حُرَيْث: إنّي لستُ آمن إن رددتَ عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضتَ الفِدية فلا تخلّ الرُّهُنَ حتّى تَقْدَم أرض بَلْخ. فقال حُريث لملك كشّ: إنّ المهلّب كتب إليّ كذا وكذا، فإن عجّلتَ الفِدية سلّمتُ إليك الرُّهُن وسرتُ وأخبرتُه أنّ كتابه ورد وقد استوفيتُها منكم، ورددتُ عليكم الرُّهُن.

فعجّل ملك كشّ الفِدية وأخذ الرُّهُن، ورجع حُريث، فعرض لهم التُّرْك فقالوا له: افدِ نفسك ومَن معك، فقد لقينا يزيدَ بن المهلَّب ففدى نفسه. فقال حُرَيث: ولدتْني إذاً أمّ يزيد. وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى، فَفَدوهم، فأطلقهم وردّ عليهم الفداء.

وبلغ المهلّبَ قولُه فقال: يأنف العبد أن تلِده أمّ يزيد، فغضب، فلمّا قدِم عليه بلْخِ قال: أين الرُّهُن؟ قال: خلّيتهم قبل وصول كتابك، وقد كفيتُ ما خفتَ. قال: كذبت ولكنّك تقرّبت إليهم. وأمر بتجريده، فجزع من ذلك حتّى ظنّ المهلّب أنّ به مرضاً، فجرّده وضربه ثلاثين سوطاً. فقال حُريث: ودِدْتُ أنّه ضربني ثلاثمائة ولم يجرّدني أنفةً وحياء؛ وحلف ليقتلنّ المهلّب. فركب يوماً مع المهلّب، فأمر غلامَين له أن يضربا المهلّب، فلم يفعلا وقالا: نخاف عليك أن تُقْتَل[1]. وترك حُريث إتيان المهلّب، فأرسل إليه أخاه ثابت بن قُطْبَة ليأتيه به وقال له: إنّك كبعض ولدي أدّبه كبعضهم، فأتى ثابت أخاه وسأله أن يركب إلى المهلّب، فلم يفعل، وحلف ليقتلنّه، فقال ثابت: إن كان هذا رأيك فاخرجْ بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم. وخاف ثابت أن يقتل حُريثُ المهلّبَ فيُقْتَلون جميعاً، فخرجا في ثلاثمائة من أصحابهما المنقطعين إليهما[2].

ذكر وفاة المهلّب بن أبي صُفْرة وولاية ابنه يزيد خُراسان

لمّا صالح المهلّبُ أهلَ كِشّ رجع يريد مروَ، فلمّا كان بمرو الرُّوذ أخذته الشَّوْصة[3]، وقيل الشوكة[4]، فمات منها، وأوصى إلى ابنه حبيب فصلّى عليه، وقال لهم:

---

(١) في (ب): «يقتلك».

(٢) الطبري ٦/٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) الشَّوْصَة: ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا، ومرة في الجنب، ومرة في الظهر ومرة في الحواقن. (لسان العرب، وانظر: القاموس المحيط).

قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه. فقال له ابنه المفضّل: لو تقدّمه لقدّمناه.

وأحضر ولده فوصّاهم، وأحضر سهاماً فحُزمتْ، فقال: أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا: لا. قال: أفتكسرونها[1] متفرّقة؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا الجماعة. ثمّ قال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرَّحِم، فإنّها تُنسيءُ في الأجل، وتُثْري المال[2]، وتُكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإنّها تُعقب النار والقلّة والذلّة، وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكنْ فَعالكم أفضل من مقالكم، واتّقوا الجواب وزلّة اللّسان، فإنّ الرجل تزلّ قدمه فينتعش منها، ويزلّ لسانه فيهلك، اعرفوا لمن يغشاكم حقّه، فكفى بغدوّ الرجل ورواحه إليكم تذكرةً له، وآثروا الجود على البُخْل، وأحيوا العُرف، واصنعوا المعروف، فإنّ الرجل من العرب تعدُه العِدة، فيموت دونك، فكيف بالصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالتُّؤَدَة والمكيدة، فإنها أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاءُ نزل القضاءُ، فإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الأمر من وجهه فظفر فحُمد، وإن لم يظفر قيل: ما فرَّط ولا ضيّع، ولكنّ القضاء غالب، وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السُّنن وأدب الصالحين، وإيّاكم وكثرة الكلام في مَجالسكم. ثمّ مات، رحمه الله، فقال نهار بن تَوْسِعة التميميُّ يرثيه:

ألا ذهبَ المعرُوفُ والعِزُّ والغِنى[3] ... وماتَ النّدى والجودُ بعد المهلّبِ
أقام بمروَ الرُّوذ رهن[4] ضريحهِ ... وقد غابَ[5] عنه كلُّ شرْقٍ ومغربِ
إذا قيلَ أيُّ الناسِ أوْلى بنعمَةٍ ... على النّاسِ؟ قُلنا هُوْ[6] ولم نَتَهَيّبِ[7]

فلمّا توفّي كتب ابنه يزيد إلى الحجّاج يُعلمه بوفاته، فأقرّ يزيد على خُراسان[8].

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة عزل عبدُ الملك أبانَ بن عثمان عن[9] المدينة في جُمادى الآخرة،

(٤) الشوكة: داء كالطاعون.

(١) من (ر).
(٢) في (ب): «تثري في المال».
(٣) الشطر في: المعمّرين، والطبري: «ألا ذهب الغزو المقرِّبُ للغِنَى».
(٤) المعمّرون، الطبري: «أقاما... رهنَيْ».
(٥) المعمّرون، الطبري: «غُيّبا».
(٦) الطبري، والأوربية «قُلناهُ».
(٧) الأبيات في: تاريخ الطبري ٦/٣٥٥ وبه أبيات أخرى، وفي المعمّرين ص ١٤٣ البيتان الأول والثاني.
(٨) الطبري ٦/٣٥٤، ٣٥٥، نهاية الأرب ٢١/٢٥٩، ٢٦٠.
(٩) في الأوربية: «من».

واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزوميَّ، فعزل هشامٌ نَوفلَ بن مُساحق عن قضاء المدينة، وولّى على القضاء عَمْرو بن خالد الزُّرَقيَّ[1]، وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية فهزمهم، ثمّ سألوه الصلح فصالحهم، وولّى عليهم أبا شيخ ابن عبد الله، فغدروا به فقتلوه[2]، وقيل: بل قتلوه سنة ثلاثٍ وثمانين.

[الوفيات]

وفيها قُتل عبد الله بن شدّاد بن الهاد اللّيثيُّ بدُجَيْل[3].

وفيها مات أبو الجَوْزاء أوْس[4] بن عبد الله الرَّبْعيُّ، وعطاء بن عبد الله السَّلِيميُّ العابد[5].

(السَّلِيميّ: بفتح السين المهملة، وكسر اللام).

وفيها مات زاذان[6]، وأبو وائل[7].

وعمر بن عُبيد الله[8] بن مَعْمَر التيميُّ، وعمره ستّون سنة.

وفيها مات أبو أُمامة الباهليُّ[9]، وقيل: سنة إحدى وتسعين.

---

(١) الطبري ٦/٣٥٥، نهاية الأرب ٢١/٢٦٠.

(٢) تاريخ خليفة ٢٨٨، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٦.

(٣) تاريخ الطبري ٦/٣٨٢، ٣٨٣ (حوادث سنة ٨٣ هـ.).

(٤) انظر عن (أبي الجوزاء) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٣٢ رقم ١٧٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (عطاء بن عبد الله) في: حلية الأولياء ٦/٢١٥ - ٢٢٦ رقم ٣٦٦.

(٦) انظر عن (زاذان) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٦٤ رقم ٣٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) هو: شقيق بن سلمة، أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (عمر بن عبيد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٦١ رقم ١١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (أبي أُمامة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٢٦ رقم ١٧٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين

ذكر بقيّة الوقعة بدَيْر الجماجم

فلمّا حملت كتائبُ الحجّاج الثلاث على القرّاء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جَبَلة بن زَحْر نادى جَبَلةُ: يا عبدَ الرحمن بن أبي ليلى! يا معشر القرّاء! إنّ الفرار ليس بأحدٍ [من الناس] بأقبح، منه بكم[1]، إنّي سمعتُ عليّ بن أبي طالب، رفع الله درجته في الصالحين، وآتاه ثواب الصادقين والشهداء، يقول يوم لقينا أهل الشام: أيّها المؤمنون، إنّه مَنْ رأى عدواناً يُعمل به، ومنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلِم وبرىء، ومَنْ أنكره بلسانه فقد أُجر[2] وهو أفضل من صاحبه، ومَنْ أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمةَ الظّالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونوّر في قلبه اليقين[3]، فقاتلوا هؤلاء المُحِلّين المُحْدثين المبتدعين الّذين جهِلوا الحقّ فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس يُنكرونه.

وقال أبو البَخْتَريّ: أيّها الناس قاتِلوهم على دينكم ودنياكم. فقال الشّعبيُّ: أيّها الناس قاتِلوهم، ولا يأخذْكم حَرَج من قتالهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم، ولا أَجْوَر في حُكم منهم. وقال سعيد بن جُبير نحو ذلك، وقال جَبَلة: احملوا عليهم حملةً صادقةً، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتّى تُواقعوا صفّهم.

فحملوا عليهم حملةً صادقةً، فضربوا الكتائب حتّى أزالوها وفرّقوها، وتقدّموا حتّى واقعوا صفّهم، فأزالوه عن مكانه، ثمّ رجعوا فوجدوا جَبَلة بن زَحْر قتيلاً لا يدرون كيف قُتل.

وكان سبب قتله أنّ أصحابه لما حملوا على أهل الشام ففرّقوهم وقف لأصحابه ليرجعوا إليه، فافترقت فرقةٌ من أهل الشام فوقفت ناحية، فلمّا رأوا أصحاب جَبَلة قد

---

(١) في الأوربية: «به منكم».

(٢) في الأوربية: «أجسر».

(٣) في الأوربية: «باليقين».

تقدّموا، قال بعضهم لبعض: هذا جَبَلة، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال. فحملوا عليه، فلم يُولّ، لكنّه حمل عليهم فقتلوه، وكان الذي قتله الوليد بن نُحَيْت الكلبيّ، وجيء برأسه إلى الحجّاج، فبشّر أصحابه بذلك. فلمّا رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سُقط في أيديهم وتناعوه بينهم، فقال لهم أبو البَختريّ: لا يظهرنّ عليكم قتل جبلة، إنّما كان كرجلٍ منكم أتته منيّته، فلم يكن ليتقدّم [يومه] ولا ليتأخّر [عنه]. وظهر الفشل في القرّاء، وناداهم أهل الشام: يا أعداء الله قد هلكتم، وقد قُتل طاغيتكم!

وقدِم عليهم بِسطام بن مَصْقَلة بن هُبيرة الشيبانيُّ، ففرحوا به وقالوا: تقدّمْ مقام جبلة. وكان قدومه من الريّ، فلمّا أتَى عبد الرحمن جعله على ربيعة، وكان شجاعاً، فقاتل يوماً، فدخل عسكر الحجّاجِ، فأخذ أصحابه ثلاثين امرأةً فأطلقهنّ. فقال الحجّاج: منعوا نساءهم، لو لم يردّوهنّ لسبيتُ نساءهم إذا ظهرتُ عليهم.

وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤآسي أبو حُمَيْد، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من أهل الشام، فتضاربا، فقال كلّ واحد منهما: أنا الغلام الكلابيّ. فقال كلّ واحد منهما لصاحبه: مَنْ أنت؟ وإذا هما ابنا عمّ، فتحاجزا. وخرج عبد الله بن رِزام الحارثيُّ، فطلب المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر الحجّاج فقتله، ثمّ فعل ذلك ثلاثة أيّام.

فلمّا كان اليوم الرابع خرج، فقالوا: جاء لا جاء الله به! فطلب المبارزة، فقال الحجّاج للجرّاح: اخرجْ إليه. فخرج إليه. فقال له عبد الله، وكان له صديقاً: ويحك يا جرّاح ما أخرجك؟ قال: ابتليت بك. قال: فهل لك في خير؟ قال الجرّاح: ما هو؟ قال عبد الله: أنهزم لك وترجع إلى الحجّاج، وقد أحسنتَ عنده وحمدك، وأمّا أنا فأحتمل مقالةَ الناس في انهزامي حُبّاً[1] لسلامتك، فإنّي لا أُحبّ قتل مثلك من قومي. قال: افعلْ. فحمل الجرّاح على عبد الله فاستطرد له عبد الله، وحمل عليه الجرّاح بجدّ[2] يريد قتله، فصاح لعبد الله غلامه، وكان ناحية معه ماء ليشربه، وقال له: يا سيّدي إنّ الرجل يريد قتلك! فعطف عبد الله على الجرّاح، فضربه بعمود على رأسه فصرعه، وقال له: يا جرّاح بئسَ ما جزيتني! أردتُ بك العافية وأردت قتلي! انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة.

وكان سعيد بن جُبَير، وأبو البَختري الطّائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جَبَلة بن زَحْر حتّى يُخالطاهم[3]، وكانت مدّة الحرب مائة يوم وثلاثة أيّام، لأنّه كان نزولهم

---

(١) في الأوربية: «حسباً».

(٢) في الأوربية: «بحدّ».

(٣) في الأوربية: «يخالطوهم».

بالجماجم لثلاثٍ مَضَيْن من ربيع الأوّل، وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضَيْن من جُمادَى الآخرة.

فلمّا كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشدّ قتال، واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجّاج، واستعلوا عليهم وهم آمنون أن يُهزموا. فبينا هم كذلك إذ حمل سفيان بن الأبرد، وهو في ميمنة الحجّاج، على الأبرد بن قُرّة التميميّ، وهو على ميسرة عبد الرحمن، فانهزم الأبرد بن قُرّة من غير قتال يُذكر، فظنّ الناس أنّه قد كان صولح على أن ينهزم بالناس، فلمّا انهزم تقوّضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضاً، وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس: إليّ عباد الله. فاجتمع إليه جماعة، فثبت حتّى دنا منه أهل الشام، فقاتل مَن معه، ودخل أهلُ الشام العسكر، فأتاه عبد الله بن يزيد بن المفضَّل الأزديّ فقال له: انزلْ، فإنّي أخاف عليك أن تُؤسر، ولعلّك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يُهْلِكهم الله به.

فنزل هو ومَنْ معه لا يَلْوون على شيء، ثمّ رجع الحجّاج إلى الكوفة، وعاد محمّد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وأخذ الحجّاج يبايع الناس، وكان لا يبايع أحداً إلّا قال له: اشهدْ أنّك كفرتَ، فإن قال: نعم، بايعه، وإلّا قتله، فأتاه رجل من خَثْعَم كان معتزلاً للناس جميعاً، فسأله عن حاله، فأخبره باعتزاله، فقال له: أنت متربّص، أتشهد أنّك كافر؟ قال: بئس الرجل! أنا أعبد الله ثمانين سنة، ثمّ أشهد على نفسي بالكفر! قال: إذاً أقتلك. قال: وإن قتلتني. فقتله، ولم يبقَ أحدٌ من أهل الشام والعراق إلّا رحِمه.

ثمّ دعا بكُمَيل بن زياد فقال له: أنت المقتصّ من أمير المؤمنين عثمان؟ (قد كنت أحب من أن أجد)[1] عليك سبيلاً. قال: على أيّنا أنت أشدّ غضباً، عليه حين أقاد من نفسه، أم عليّ حين عفوتُ عنه؟ ثمّ قال: أيّها الرجل من ثقيف (لا تصرف عليَّ أنيابَك ولا تكشرْ)[2] عليّ كالذئب، والله ما بقي من عمري إلّا ظِمء الحمار، اقضِ ما أنت قاضٍ، فإنّ الموعد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحجّاج: فإنّ الحُجّة عليك. قال: ذلك إذا كان القضاء إليك. فأمر به فقُتل، وكان خِصّيصاً بأمير المؤمنين. وأُتي بآخر من بعده، فقال له الحجّاج: أرى رجلاً ما أظنّه يشهد على نفسه بالكفر. فقال له الرجل: أتُخادعني عن نفسي؟ أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون. فضحك منه وخلّى سبيله.

---

(١) في الأوربية: «قد كنت أجب من أن أجب».

(٢) في الأوربية: «لا تصرف على أبنائك ولا تكثر».

وأقام بالكوفة شهراً، وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة، أنـزلهم الحجّاج فيهـا مع أهلهـا، (وهو أوّل مَنْ أنـزل الجنـد في بيـوت غيـرهم، وهـو إلى الآن لا سيّمـا في بـلاد العجم، ومَنْ سنّ سُنّة سيّئة كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة)[1].

ذكر الوقعة بمَسْكِن

ولمّا انهزم عبد الرحمن أتى البصرة، واجتمع إليه من المنهزمين جمـع كثير، وكـان فيهم عُبيـد[2] الله بن عبد الـرحمن بن سَمُـرَة بن حبيب[3] بن عبـد شمس القُرَشيُّ، وكـان بـالمدائن محمّـد بن سعد بن أبي وقّـاص، فسـار إليـه الحجّـاج، فلحِق ابن سعـد بعبـد الرحمن، وسار عبـد الرحمن نحـو الحجّاج ومعـه جمعُ كثيـر، فيهم بِسطام بن مَصْقلة بن هبيـرة الشيبـانيُّ، وقـد بـايعـه خلق كثيـر على المـوت، فـاجتمعـوا بمَسْكِن، وخنـدق عبدُ الرحمن على أصحابه، وجعل القتال من وجهٍ واحد.

وقـدِم عليه خـالد بن جـرير بن عبـد الله من خُراسـان في ناس من بَعْث الكـوفـة، فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشـدّ قتال، فقُتـل زياد بن غيثم[4] القينيُّ، وكـان على مَسالح الحجّاج، فهدّه ذلك وهدّ أصحابه. وبات الحجّاج يحرّض أصحابه، ولمّا أصبحوا بـاكروا القتـال، فاقتتلوا أشـدّ قتالٍ كـان بينهم، فانكشفت خيـلُ سفيان بن الأبـرد، فـأمـر الحجّـاجُ عبدَ الملك بن المهلّب، فحمـل على أصحاب عبـد الرحمن، وحمـل أصحاب الحجّاج من كلّ جانب، فانهزم عبد الـرحمن وأصحابـه، وقُتل عبـد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، وأبو البَخْتَـريّ الطائيُّ، ومشى بِسـطام بن مَصْقلة بن هُبَيرة في أربعـة آلاف فارسٍ من شجعان أهل الكوفة والبصرة، فكسروا جُفـون سيوفهم، وحثّ أصحـابه على القتـال، فحملوا على أهـل الشام فكشفـوهم مراراً، فـدعا الحجّـاجُ الرمـاةَ، فرمـوهم وأحـاط بهم الناس، فقُتلوا إلاّ قليلاً، ومضى ابن الأشعث نحو سِجِسْتان.

وقد قيل في هـزيمة عبـد الرحمن بمسكِن غيـر هذا، والـذي قيل: إنّـه اجتمع هـو والحجّـاج بمسكِن، وكان عسكـر ابن الأشعث، والحجّـاج بين دجلة، والسِّيب والكَـرْخ، فـاقتتلوا شهراً ودونـه، فأتى شيـخ فـدلّ الحجّـاج على طـريق من وراء الكـرخ في أجمـة وضَحْضـاح من الماء، فـأرسل معـه أربعة آلاف، وقـال لقائـدهم: إنْ صَدَق فـأعطِه ألف درهم، فإنْ كَذَب فاقتله. فسار بهم، ثمّ إنّ الحجّاج قاتل أصحاب عبـد الرحمن، فـانهزم

(١) ما بين القوسين من (ب). والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٣٥٧ ـ ٣٦٥، نهاية الأرب ٢١/٢٤٣ ـ ٢٤٦.
(٢) في (ر): «عبد».
(٣) في الأوربية: «جندب».
(٤) في (ب): «غنم» و (آ): «غثيم».

الحجّاج فعبر السِّيبَ، ورجع ابن الأشعث إلى عسكره آمناً، ونهب عسكر الحجّاج، فأمِنوا وألقوا السلاح، فلم يشعروا نصف اللّيل إلاّ والسيف يأخذهم من تلك السريّة، فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممّنْ قُتل، ورجع الحجّاج في عسكره على الصوت، فقتلوا مَنْ وجدوا، فكان عدّة مَنْ قُتل أربعة آلاف، منهم: عبد الله بن شدّاد بن الهاد، وبِسطام بن مَصْقلة، وعَمْرو بن ضُبَيعة الرّقاشيُّ، وبِشْر بن المنذر بن الجارود، وغيرهم[1].

ذكر مسير عبد الرحمن إلى رُتبيل وما جرى له ولأصحابه

ولمّا انهزم عبد الرحمن من مَسْكِن سار إلى سِجِسْتان، فأتبعه الحجّاجُ ابنَه محمّداً، وعُمارة بن تميم اللخميَّ، وعُمارة على الجيش، فأدركه عُمارة بالسوس، فقاتله ساعةً، فانهزم عبد الرحمن ومَن معه، وساروا حتّى أتوا سابور، واجتمع إليه الأكراد، فقاتلهم عُمارة قتالاً شديداً على العَقَبة، فجُرح عُمارة وكثير من أصحابه، وانهزم عُمارة وترك لهم العقبة.

وسار عبد الرحمن حتّى أتى كَرْمان وعُمارة يتبع أثرهم، فدخل بعض أهل الشام قصراً في مفازة كرمان، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن جِلْدة[2] اليَشْكُريّ، وهي طويلة:

أيا لَهْفاً ويا حَزَناً[3] جميعاً ... ويا حَرّ[4] الفُؤآدِ لِما لَقينا

تَرَكْنا الدِّينَ والدّنيا جَميعاً ... وأسلَمْنا[5] الحَلائلَ وَالبَنينَا

فما كنّا أُناساً[6] أهلَ دينٍ ... فنصبرَ في البلاء إذا ابتُلينَا[7]

فما[8] كنّا أناساً أهلَ دنيا ... فنمنَعَها ولَوْ لم نرْجُ دِينَا

تَرَكْنا دُورَنا لِطَغامِ[9] عكٍّ ... وأنباط القرَى والأشعَرينَا[10]

---

(١) الطبري ٦/٣٦٦ وما بعدها، نهاية الأرب ٢١/٢٤٧، ٢٤٨، البداية والنهاية ٩/٤٢.

(٢) في (ب): «خلقة»، وفي طبعة صادر ٤/٤٨٤ «حِكّزَة»، والمثبت يتفق مع الطبري والأغاني.

(٣) في الأوربية: «حرَباً»، وفي الأغاني: «حزني».

(٤) الأغاني: «ويا غمّ».

(٥) الأغاني: «وخَلَّيْنا».

(٦) في الأوربية: «بناس».

(٧) الأغاني: «بُلينا».

(٨) الطبري «وما»، الأغاني «ولا».

(٩) في الأوربية: «لطعام».

(١٠) الطبري ٦/٣٦٨، ٣٦٩، الأغاني ١١/٣١٢، ٣١٣، البداية والنهاية ٩/٤٨ وليس فيه البيت الثالث.

فلمّا وصل عبدُ الرحمن إلى كرمان أتاه عامله، وقد هيّأ له نُزُلاً فنزل، ثمّ رحل إلى سجِستان، فأتى زَرَنْج وفيها عامله، فأغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها، فأقام عليها أيّاماً ليفتحها فلم يصل إليها، فسار إلى بُسْت، وكان قد استعمل عليها عِياضَ بن هِمْيان بن هشام السدوسيّ الشيبانيّ، فاستقبله وأنزله، فلمّا غفل أصحابه قبض عليه عياض وأوثقه، وأراد أن يأمن به عند الحجّاج.

وقد كان رُتبيل ملك التُرك سمع بمَقْدَم عبد الرحمن، فسار إليه ليستقبله، فلمّا قبضه عِياض نزل رُتبيل على بُسْت، وبعث إلى عياض يقول: والله لئن آذيتَهُ بما يُقذي عينه، أو ضررتَهُ ببعض الضرر، أو أخذتَ منه ولو حبلاً من شعر لا أبرح حتّى أستنزلك[1] وأقتلك وجميع مَنْ معك، وأسبي ذراريّكم، وأغنم أموالكم. فاستأمنه عِياض، فأطلق عبدَ الرحمن، فأراد قتل عِياض فمنعه رُتبيل.

ثمّ سار عبد الرحمن مع رُتبيل إلى بلاده، فأنزله وأكرمه وعظّمه. وكان ناسٌ كثير من المنهزمين من أصحاب عبد الرحمن من الرؤوس والقادة الذين لم يقبلوا أمان الحجّاج، ونصبوا له العداوة في كلّ موطن، قد تبِعوا عبد الرحمن، فبلغوا سجستان في نحو ستّين ألفاً، ونزلوا على زَرَنْج يحاصرون مَنْ بها، وكتبوا إلى عبد الرحمن يستدعونه ويُخْبرونه أنّهم على قصد خُراسان ليقْوَوا بمَن بها من عشائرهم، فأتاهم، وكان يصلّي بهم عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، إلى أن قدِم عبد الرحمن. فلمّا أتت كُتُبُهم عبدَ الرحمن سار إليهم، ففتحوا زَرَنْج، وسار نحوهم عُمارة بن تميم في أهل الشام، فقال لعبد الرحمن أصحابه: اخرجْ بنا عن سجستان إلى خُراسان. فقال: إنّ بها يزيد بن المهلّب وهو رجل شجاع، ولا يترك لكم سلطانه، ولو دخلناها لقاتلَنا وتبِعَنا أهل الشام، فيجتمع علينا أهل خُراسان وأهلُ الشام. فقالوا: لو دخلنا خراسان لكان مَنْ يتبعنا أكثر ممّنْ يقاتلنا.

فسار معهم حتّى بلغوا هَراة، فهرب من أصحابه عُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة القرشيُّ في ألفين، فقال لهم عبد الرحمن: إنّي كنتُ في مأمن وملجإ، فجاءتني كُتُبكم أن أقبِلْ فإنّ أمرنا واحد، فلعلّنا نقاتل عدوّنا، فأتيتكم، فرأيتم أن أمضي إلى خُراسان، وزعمتم أنّكم تجتمعون إليّ، وأنّكم لا تتفرّقون، وهذا عُبيد الله قد صنع ما رأيتم، فاصنعوا ما بدا لكم، أمّا أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيتُ من عنده.

فتفرّق منهم طائفة، وبقي معه طائفة، وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العبّاس فبايعوه، ومضى عبد الرحمن بن الأشعث إلى رُتبيل، وسار عبد الرحمن بن

(١) في الأوربية: «أستذلّك».

العبّاس إلى هَرَاة، فلقوا بها الرُّقادَ الأزديَّ فقتلوه، فسار إليهم يزيد بن المهلّب.

وقيـل: إنّ عبد الـرحمن بن الأشعث لمّـا انهـزم من مسكِن أتى عُبيـدُ الله بن عبد الرحمن بن سَمُـرَة هَراة، وأتى عبدُ الرحمن بن العبّاس سِجِسْتان، فـاجتمع فَـلُّ ابن الأشعث، فسار إلى خُراسان في عشرين ألفاً، فنزل هراة، ولقوا الرُّقاد فقتلوه، فأرسلْ إليه يزيد بن المهلّب: قد كان لك في البلاد مُتَّسَع ومَنْ[1] هو أهـوَن منّي شوكـة، فارتحِـلْ إلى بلدٍ ليس لي فيـه سلطان، فـإنّي أكـره قتـالـك، وإنْ أردتَ مـالاً أرسلتُ إليـك. فـأعـاد الجواب: إنّا ما نزلنا لمحاربة ولا لمُقام، ولكنّا أردنا أن نـريح، ثمّ نـرحل عنـك، وليست بنا إلى المال حاجة.

وأقبـل عبد الـرحمن بن العبّاس على الجبـاية، وبلغ ذلـك يزيـد فقال: مَنْ أراد أن يـريح ثمّ يـرتحل لم يَجْبِ الخـراج. فسار يـزيد نحـوه وأعاد مـراسلتـه: إنّـك قـد أرحتَ وسمنتَ وجبيتَ الخراج، فلك ما جبيت وزيادة، فاخرجْ عنّي، فإنّي أكره قتالك. فأبَى إلاّ القتال، وكاتب جُند يزيد يستميلهم، ويدعوهم إلى نفسه، فعلم يزيد فقال: جَلّ الأمر عن العتاب؛ ثمّ تقدّم إليه فقاتله، فلم يكن بينهم كثيرُ قتالٍ حتّى تفرّق أصحاب عبـد الرحمن عنه وصبر، وصبرتْ معه طـائفة، ثمّ انهـزموا، وأمـر يزيـد أصحابـه بالكفّ عن اتّبـاعهم، وأخذوا ما كان في عسكرهم، وأسروا منهم أسرى، وكـان منهم: محمد بن سعـد بن أبي وقّـاص، وعمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمـر، وعبّاس بن الأسـود بن عَوْف الـزُّهْريُّ، والهلقـام بن نُعَيْم بن القعقـاع بن مَعْبـد بن زُرارة، وفيـروز حُصَين، وأبـو الفلج مـولى عُبَيْـد الله بن مَعْمر، وسوّار بن مـروان، وعبـد الـرحمن بن طلحـة بن عبـد الله بن خَلَف الخُزاعيُّ، وعبد الله بن فَضالة الزَّهْرانيُّ الأزديُّ.

ولحِق عبدُ الرحمن بن العبّـاس بالسِّنـد، وأتى ابنُ سَمُرَة مـروَ، وانصرف يـزيد إلى مـرو، وبعث الأسرى إلى الحجّـاج مع سَبـرة ونَجْدة، فلمّـا أراد تسييـرهم قـال لـه أخـوه حبيب: بأيّ وجه تنظر[2] إلى اليمانيّة وقد بعثت عبـد الرحمن بن طلحـة؟ فقال يـزيد: إنّـه الحجّاج ولا يتعرّض له. قال: وطِّنْ نفسك على العزل، ولا تُرسلْ به، فإنّ له عندنا يداً. قال: وما هي؟ قال: أُلزم المهلّب في مسجـد الجماعـة بمائـة ألف، فأدّاهـا طلحة عنـه. فأطلقه يزيد، ولم يرسل يزيد أيضاً عبدَ الله بن فَضالة لأنّه من الأزد، وأرسل الباقين.

فلمّا قدِموا على الحجّاج قـال لحاجبـه: إذا دعوتـك بسيّدهم فـأتِني بفَيروز، وكـان بـواسط [القصب] قبل أن تُبنى مـدينـة [واسط]. فقـال لحـاجبـه: ائتني بسيّـدهم. فقـال

---

(١) في الأوربية: «ممتنع من».

(٢) في الأوربية: «ننظر».

لفيروز: قمْ. فقام، فأحضره عنده. فقال له الحجّاج: أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء؟ فوالله ما لحمك من لحومهم، ولا دمك من دمائهم! قال: فتنة عمّت الناس. قال: اكتبْ إليّ أموالك. قال: اكتبْ يا غلام ألف ألف وألفيْ ألف، فذكر مالاً كثيراً. فقال الحجّاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي. قال: فأدِّها. قال: وأنا آمن على دمي؟ قال: والله لتؤدّينّها ثمّ لأقتلنّك. قال: والله لا يُجمع بين دمي ومالي. فأمر به فنُحّي.

ثمّ أحضر محمّد بن سعد بن أبي وقّاص فقال له: يا ظلّ الشيطان! أعظم الناس تيهاً وكِبْراً، تأبَى بيعة يزيد بن معاوية، وتتشبّه بالحسين وبابن عمر، ثمّ ضربتَ مؤذّناً؟ وجعل يضرب رأسه بعُودٍ في يده حتّى أدماه، ثمّ أمر به فقُتل. ثمّ دعا بعمر بن موسى فقال: يا عبد المرأة! أتقوم[1] بالعمود على رأس[2] ابن الحائك، يعني ابن الأشعث، وتشرب معه في الحمّام! فقال: أصلح الله الأمير، كانت فتنة شملت البرّ والفاجر، فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منّا، فإنْ عفوتَ فبحلمك[3] وبفضلك، وإن عاقبتَ [عاقبتَ] ظَلَمة مذنبين. فقال الحجّاج: أمّا أنّها شملت البرّ فكذبتَ، ولكنّها شملت الفاجرَ، وعوفي منها الأبرار، وأمّا اعترافك فعسى أن ينفعك؛ ورجا له الناس السلامة، ثمّ أمرَ به فقُتل. ثمّ دعا بالهلقام بنِ نُعَيْم فقال: أحببتَ أنّ ابنَ الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أمّلتَ أنتَ معه؟ قال: أمّلتُ أن يملك فيولّيني [العراقَ]، كما ولّاك عبدُ الملك إيّاه. فأمر به فقُتل. ثمّ دعا عبدَ الله بن عامر، فلمّا أتاه قال له الحجّاج: لا رأت عينُك الجنّة إن أفلتَّ! [فقال: جزى اللهُ] ابنَ المهلّب بما صنع. قال: وما صنع؟ قال:

لأنّـه كـاسَ في إطـلاقِ أُسـرَتِـهِ ... وقـادَ نحوَكَ في أغـلالِها مُضَـرَا
وَقى بقـوْمـكَ وِردَ المـوْتِ أُسـرتَـهُ ... وكـانَ قـوْمُـكَ أدنى عنـده خـطرَا

فأطرق الحجّاج ووقرت في قلبه وقال: وما أنت وذاك؟ فأمر به فقُتل. ولم تزل كلمته في نفس الحجّاج حتّى عزل يزيد عن خُراسان وحبسه.

ثمّ أمر بفيروز فعُذّب، وكان يُشدّ عليه القصب الفارسيُّ المشقوق، يُجرّ عليه حتّى يُجْرَح به، ثمّ يُنضح عليه الخلّ، فلمّا أحسّ بالموت قال لصاحب العذاب: إنّ الناس لا يشكّون أن قد قُتلتُ، ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدّى إليكم أبداً، فأظهِرْني للناس ليعلموا أنّي حيّ، فيُؤدّوا المال. فأعلم الحجّاجَ، فقال: أظهِرْه. فأُخرج إلى باب المدينة، فصاح في الناس: مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فيروز حُصَين،

---

(١) في الأوربية: «يقوم».
(٢) في الأوربية: «رأسك».
(٣) في الأوربية: «فبجمالك».

إنّ لي عند أقوام مالاً، فمَنْ كان لي عنده شيء فهو له، وهو منه في حِلّ، فلا يؤدّ أحد منهم درهماً، ليُبلغ الشاهدُ الغائبَ. فأمر به الحجّاجُ فقُتل.

وأمر بقتل عمر بن أبي قُرّة الكِندي، وكان شريفاً، وأمر بإحضار أعشى هَمْدان، فقال: إيه عدوّ الله! أنشِدْني قولك «بين الأشج[1] وبين[2] قيس». قال: بل أنشدك ما قلتُ لك. قال: بل أنشدني هذه. فأنشده:

أَبى اللَّهُ إلّا أنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ ... ويُطفِىءَ نارَ[3] الفاسِقِينَ[4] فتَخمُدَا

ويُظهِرَ أهلَ الحقّ في كلِّ مَوْطِنٍ ... ويُعْدلَ وقعَ السّيفِ مَن كان أصْيدا

وَيُنْزِلَ ذُلّاً بالعِرَاقِ وأهلِهِ ... لِمَا[5] نقضُوا العهدَ الوَثيقَ المؤكَّدَا

وما أحدَثوا مِن بِدعَةٍ وعَظيمَةٍ[6] ... من القَوْلِ لم تَصْعَدْ[7] إلى اللّهِ مَصْعدَا

وما[8] نكَثوا مِن بَيْعةٍ بعدَ بَيْعَةٍ ... إذا ضَمِنوها اليَوْمَ خاسوا بها غَدَا

وَجُبناً حَشاهُ[9] ربُّهمْ في قلوبهمْ ... فما يقرُبونَ النّاسَ إلّا تَهَدُّدَا

فلا صِدْقَ في قَوْلٍ وَلا صَبرَ عندهمْ ... ولكِنَّ فَخراً فيهِمُ وتزَيُّدَا

فكَيفَ رَأيتَ اللّهَ فَرّقَ جَمعَهمْ ... ومزّقَهم عرْضَ البلادِ وَشَرّدَا

فقَتلاهُمُ قتلى ضَلالٍ وفِتْنَةٍ ... وجَيشُهُمُ[10] أمسَى ذليلاً مُطَرَّدَا

ولمّا زَحَفْنا[11] لابنِ يوسُفَ غُدوَةً[12] ... وأبرَقَ منه[13] العارِضانِ وأرْعَدَا

قَطَعْنا إلَيهِ الخَندَقَينِ وإنّما ... قَطَعْنا وأفضَينا إلى الموْتِ مُرْصِدَا

فكافحَنا[14] الحَجّاجُ دونَ صُفوفِنا ... كِفاحاً ولم يضرِبْ لذلك مَوْعِدَا

---

(1) في (ب): «الأشجع».

(2) في الأوربية: «وبشر».

(3) الطبري، المسعودي: «نور»، وكذا في الأوربية.

(4) المسعودي: «الفقعتين».

(5) الأغاني، والأوربية: «كما»، والمسعودي «بما».

(6) المسعودي: «وضلالة».

(7) المسعودي، والأوربية: «يصعد».

(8) الأغاني: «بما».

(9) الأوربية: «حشاة».

(10) في (آ) و(ر) والطبري: «وحَيُّهُمُ».

(11) الأغاني: «دلفنا».

(12) الأغاني: «ضِلّة».

(13) الطبري، الأغاني: «منا».

(14) الأغاني: «فصادَمَنا».

بصفٍّ كأنَّ المَوْتَ في حُجُزاتهمْ[١] إذا ما تجلّى بَيضُهُ وتَوَقَّدَا
دَلَفنا إلَيهِ في صُفوفٍ كأنّها جبالُ شَرَوْرَى أوْ نعافٍ فَشَهْمَدَا[٢]
فما لبثَ الحجّاجُ أن سَلّ سَيفَهُ علَينا فَوَلّى جَمعُنا وتَبَدّدَا
وما زاحَفَ الحَجّاجُ إلاّ رَأيتَهُ مُعاناً مُلَقّى[٣] للفُتُوحِ مُعَوَّدَا
وإنّ ابنَ عبّاسٍ لَفي مُرْجَحِنّةٍ نُشَبِّهُها[٤] قِطْعاً منَ اللّيلِ أسوَدَا[٥]
فما شرَعوا رُمحاً[٦] وَلا جرّدوا ظُبًى[٧] ألاَ إنّما[٨] لاقى الجَبانُ فجَرّدَا
وكَرّتْ علَينا خَيلُ سُفيانَ كَرّةً بفرْسانِها والسَّمْهَرِيِّ[٩] مُقَصَّدَا
وسُفيانُ يهديها كأنّ لِواءَها[١٠] منَ الطعن سِندٌ باتَ بالصِّبغ مُجْسدَا[١١]
كهولٌ ومُرْدٌ من قُضاعةَ حوْلَهُ مَساعيرُ أبطال إذا النِّكسُ عرّدَا
إذا قالَ شدّوا شدّةً حملوا مَعاً فأنهَلَ خِرصَانَ[١٢] الرِّماحِ وَأوْرَدَا
جنودُ أميرِ المؤمنينَ وخَيلُهُ وسلْطانُه أمسَى عَزيزاً مُؤيَّدَا
فَيَهْني[١٣] أميرَ المؤمِنينَ ظهورُهُ على أمّةٍ كانوا سُعاةً[١٤] وحُسَّدَا
نَزَوْا[١٥] يَشتَكونَ البَغيَ مِنْ أمرائهمْ وكانُوا هُمُ أبغَى البُغاةِ وأعنَدَا
وَجَدْنا بَني مرْوَان خيرَ أئِمّةٍ وأفضَلَ[١٦] هذا النّاس[١٧] حِلماً وسودَدَا
وخيرَ قُرَيشٍ في قرَيشٍ أرُومَةً وأكرَمَهُمْ إلاّ النبيَّ مَحمّدَا

(١) الطبري: «بصفٍّ كأنّ البرق في حَجَراته».
(٢) الطبري: «لو تُعان فتنْهُدا»، والأوربية: «نعانٍ فتنهدا».
(٣) الأوربية: «ملقاً».
(٤) الأوربية: «ليشبهها».
(٥) هذا البيت من (ب).
(٦) الأوربية: «رحماً».
(٧) الطبري: «جرّدوا له».
(٨) في نسخة بودليان «الآن بما»، والطبري: «ألا ربّما».
(٩) الأوربية: «والشّمّري».
(١٠) الطبري: «لواءه».
(١١) الأوربية: «من الطّعن سدّباتَ بالضّبع مجسدا».
(١٢) في (آ): «فهل خراسان»، الأوربية «فرضان».
(١٣) الأوربية: «فيهنّ»، الأغاني: «ليهنيء».
(١٤) في (آ)، والطبري، والأغاني: «بُغاة».
(١٥) الأوربية: «تروا».
(١٦) الأوربية: «فأفضل»، والأغاني: «وأعظم».
(١٧) الطبري: «هذي الناس»، الأغاني: «هذا الخلق».

إذا ما تَدَبَّرْنا عَواقبَ أمرِهِ ... وَجَدْنا أميرَ المُؤمنينَ مُسَدَّدَا
سيغلبُ قوماً حارَبُوا[1] اللَّهَ جهرَةً ... وإن كايَدوهُ كانَ أقوَى وأكْيَدَا
كَذاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كانَ قلبُهُ ... مَرِيضاً[2] وَمَنْ والى النِّفاقَ وألحدَا[3]
وَقد تركوا الأهلينَ وَالمالَ خَلفَهم[4] ... وبِيضاً عليهِنَّ الجلابيبُ خُرَّدَا[5]
يناديهمُ[6] مستعبراتٍ إلَيهِمُ ... ويُذرِينَ دَمعاً في الخُدودِ وإثمِدَا
أنَكْثاً وعصْياناً وغَدْراً وذلَّةً ... أهانَ الإلهُ مَنْ أهانَ وَأبْعَدَا
لقد شأمَ المصرَينِ فرخُ مُحَمّدٍ ... بحَقٍّ وَما لاقَى منَ الطّيرِ أسعَدَا[7]
كما شأمَ اللَّهُ النُّجَيْرَ[8] وأهْلَهُ ... بجَدٍّ لَهُ قَد كان[9] أشقى وأنكَدَا[10]

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير. فقال الحجّاج: لا لم يُحسِن، إنّكم لا تدرون ما أراد بها. ثمّ قال: يا عدوّ الله! والله لا نحمدك [على هذا القول]، إنّما قلتَ: تَأَسُّفَ أن لا يكون ظهر وظفر، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنشدنا قولك «بين الأشجّ وبين قيس باذخ[11]»، فأنشده، فلمّا قال: «بخٍ بخٍ لوالده[12] وللمولود» قال الحجّاج: والله لا تبخبخ بعدها أبداً! فضُربت عنقه.

قوله في هذه الأبيات: ابن عبّاس، هو عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وقد تقدّم ذكره. وقوله: سفيان، هو ابن الأبرد الكلبيُّ من قوّاد العساكر الشاميّة. وقوله: فرخ محمّد، هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. وقوله:

---

(١) الطبري: «قوم غالبوا»، الأغاني: «قوماً غالبوا».
(٢) الأغاني: «ضعيفا».
(٣) الأوربية: «والحسدا».
(٤) الأغاني: «فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم».
(٥) الأوربية: «جرّدا».
(٦) الطبري، الأغاني: «ينادينهم».
(٧) الأغاني:
لقد شمْتَ بابن الأشعثِ مِصْرَنا ... فظلّوا وما لاقوا من الطير أسعدا
(٨) في الأوربية: «البخير». والنُجَير: حصن باليمن قرب حضر موت، منيع، لجأ إليه أهل الرّدّة أيام أبي بكر رضي الله عنه.
(٩) الأغاني: بجدّك من قد كان.
(١٠) الأوربية: «وأنجدا»، والأبيات في: تاريخ الطبري ٦/٣٧٦ ـ ٣٧٨، ومعظمها في: الأغاني ٦/٦٠، ٦١، مع أبيات أخرى، وفي مروج الذهب ٣/١٦٣ ثلاثة أبيات فقط، الأول والثالث والرابع.
(١١) في (ب): «نازح».
(١٢) الأوربية: «للوالدة».

الأشجّ، هو محمّد بن الأشعث. وقوله: بين[1] قيس، هو معقل بن قيس الرياحيّ، وهو جَدّ عبد الرحمن بن محمّد لأمّه. وقوله: كما شأم الله النُّجَيْرَ وأهله بجدٍّ له، يعني لما ارتدّ الأشعث بن قيس جدّ عبد الرحمن بعد وفاة النبيّ ﷺ، وتبعه كِنْدة، فلمّا حاربهم المسلمون وحصروهم بالنُّجَيْر[2] أخذوهم وقتلوهم، وقد تقدّم ذكر ذلك في قتال أهل الرِّدّة.

قيل: وأُتي الحجّاج بأسيرين فأمر بقتلهما، فقال أحدهما: إنّ لي عندك يداً. قال: وما هي؟ قال: ذكر عبد الرحمن يوماً أمّك بسوء فنهيتُه. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: هذا الأسير الآخر، فسأله الحجّاج فصدّقه، فقال له الحجّاج: فلِمَ لم تفعل كما فعل؟ قال: وينفعني الصدق عندك؟ قال: نعم. قال: منعني البُغْض لك ولقومك. قال: خلّوا عن هذا لفعله، وعن هذا لصدقه[3].

قيل: جاء رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال: أنا فلان بن فلان، قُتل جدّي يوم بدر وقُتل جدّي فلان يوم أُحُد، وجعل يذكر مناقب سلفه، فنظر عمر إلى عَنْبسة بن سعيد بن العاص فقال: هذه المناقب، والله لا يوم مسكِن، ويوم الجماجم، ويوم راهط! وأنشد:

تلك المَكارِمُ لا قَعبانِ مِنْ لبنٍ ... شِيبا بماء فعادَا بَعدُ أبْوَالا

ذكر ما جرى للشَّعْبيّ مع الحجّاج

لمّا انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادي الحجّاج: مَنْ لحق بقُتَيْبة بن مسلم فهو آمن، وكان قد ولّاه الريّ وسار إليه؛ فلحِق به ناس كثير، وكان منهم الشعبيّ، فذكره الحجّاج يوماً فسأل عنه، فقال له يزيد بن أبي مسلم: إنّه لحِق بقتيبة بالريّ، فكتب الحجّاج إلى قتيبة يأمره بإرسال الشعبيّ، فأرسله.

قال الشعبيُّ: فلمّا قدِمتُ على الحجّاج لقيتُ ابن أبي مسلم، وكان صديقاً لي، فاستشرتُه [فقال]: اعتذِرْ مهما استطعت، وأشار بمثل ذلك إخواني ونُصحائي، فلمّا دخلتُ على الحجّاج رأيتُ غير ما ذكروا لي، فسلّمتُ عليه بالإمرة وقلت: أيّها الأمير إنّ الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنّه الحقّ، وايم الله لا أقول في هذا المقام

(١) الأوربية: «بثر».
(٢) الأوربية: «البخير».
(٣) الطبري ٦/٣٦٩ - ٣٨٣، نهاية الأرب ٢١/٢٤٩ - ٢٥٥.

إلاّ الحقّ، قد والله مَرَدْنا عليك، وحرّضنا وجَهدنا، فما كنّا بالأقوياء الفجرة، ولا بـالأتقياء البرَرَة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوتَ فبـذنوبنـا وما جـرّتْ[1] إليه أيـدينا، وإن عفوتَ عنّا فبحِلْمك، وبعدُ فالحجّة لك علينا.

فقال الحجّاج: أنت والله أحبّ إليّ قولاً ممّن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثمّ يقول: ما فعلتُ ولا شهـدتُ، وقد أمنتَ يـا شعبيّ، كيف وجدتَ النـاسَ بعدَنـا؟ فقلتُ: أصلحَ اللّهُ الأميـرَ، اكتحلتُ بعدك السهـر، واستوعـرتُ الجنـاب، واستحلستُ الخـوف، وفقـدتُ صـالح الإخـوان، ولم أجـد من الأميـر خَلَفـاً[2]. قـال: انصـرفْ يـا شعبيّ. فانصرفتُ[3].

ذكر خلع عمر بن أبي الصَّلْت بالرّيّ وما كان منه

لما ظفر الحجّاج بابن الأشعث لحِق خلقٌ كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت، وكـان قد غلب على الـريّ في تلك الفتنة، فلمّـا اجتمعوا بـالـريّ أرادوا أن يحـظَوا عنـد الحجّـاج بأمرٍ يمحون عن أنفسهم عَثْرة الجماجم، فـأشـاروا على عمـر بخلع الحجّـاج وقُتَيبة، فامتنع، فوضعوا عليه أباه أبا الصلت، وكان به بارّاً، فأشار عليه بـذلك وألـزمه بـه وقال له: يا بُنيّ إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أُبالي أن تُقتل غداً. ففعل.

فلمّا قارب قتيبة الريّ بلغه الخبر، فاستعدّ لقتـاله، فـالتقوا واقتتلوا، فغـدر أصحاب عمر به، وأكثرهم من تميم، فانهزم ولحِق بطبرستان، فآواه الأصبهبذ وأكرمه وأحسن إليه. فقال عمر لأبيه: إنّك أمرتَني بخلع الحجّاج وقتيبة فأطعتك، وكان خـلاف رأيي فلم أحمد رأيـك، وقد نـزلنـا بهـذا العلجِ الأصبهبْـذ فـدَعْني حتّى أثب عليـه، فـأقتله وأجلس على مملكته، فقد علمت الأعاجم أنّي أشرف منه. فقال أبوه: ما كنت لأفعل هذا لـرجل آوانـا ونحن خائفون، وأكرمَنا وأنزلَنا. فقال عمر: أنت أعلم وسترى.

ودخل قتيبة الـريّ، وكتب إلى الحجّاج بخبـر عمر وانهـزامه إلى طبـرستان، فكتب الحجّاج إلى الأصبهبذ: أن ابعثْ بهم أو برؤوسهم، وإلّا فقد بـرئتْ منك الـذمّة. فصنـع لهم الأصبهبذ طعاماً وأحضرهمـا، فقتل عمـر وبعث أباه أسيـراً، وقيل: بـل قتلهما وبعث برؤوسهما[4].

---

(١) في الأوربية: «أجرّت».

(٢) في الأوربية: «خلفاً».

(٣) البداية والنهاية ٩/٤٩، ٥٠.

(٤) نهاية الأرب ٢١/٢٦١، ٢٦٢.

ذكر بناء مدينة واسط

وفي هذه السنة بنى الحجّاج واسطاً.

وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خُراسان وعسكر بحمّام عمر، وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس، فانصرف من العسكر إلى ابنة عمّه ليلاً، فطرق الباب طارق، ودقّه دقّاً شديداً، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمّه: لقد لقينا من هذا الشاميّ شرّاً، يفعل بنا كلّ ليلة ما ترى، يريد المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، فقال لها زوجها: ائذني له، فأذِنت له، فقتله زوجها، فلمّا أُذّن الفجر خرج إلى العسكر، وقال لابنة عمّه: إذا صلّيتِ الفجر فابعثي إلى الشاميّين ليأخذوا صاحبهم، فإذا أحضروك عند الحجّاج فاصدقيه الخبر على وجهه.

ففعلت فأحْضرت عند الحجّاج فأخبرته، فقال: صدقْتِني. وقال للشاميّين: خذوا صاحبكم لا قَوَد له ولا عقل، فإنّه قتيل الله إلى النار. ثمّ نادى مُنادٍ: لا ينزلنّ أحد على أحد.

وكان الحجّاج قد أنزل أهل الشام على أهل الكوفة، فخرج أهل الشام فعسكروا، وبعث روّاداً يرتادون له منزلاً، وأقبل حتّى نزل موضع واسط، فإذا راهب قد أقبل على حمار له، فلمّا كان بموضع واسط بال الحمار، فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه في دجلة والحجّاج يراه. فقال: عليّ به. فأُتي به. فقال: ما حملك على ما صنعته؟ قال: نجد في الكتب أنّه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعْبَد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحّده. فاختطّ الحجّاج مدينة واسط، وبنى المسجد في ذلك الموضع[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة، في قول بعضهم، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل[2]. وكان العمّال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدّم ذكرهم في السنة قبلها.

قيل: وكان الحجّاج قد سيّر نساءه وأهله إلى الشام خوفاً من عبد الرحمن بن الأشعث، وفيهنّ أخته زينب التي ذكرها النُّمَير[3] في شعره، فلمّا هُزم ابن الأشعث أرسل

(1) الطبري ٦/٣٨٣، ٣٨٤، نهاية الأرب ٢١/٢٦٢، ٢٦٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٨، البداية والنهاية ٩/٥١.

(2) الطبري ٦/٣٨٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٨.

(3) هكذا، وفي وفيات الأعيان ٢/٤٠ «محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي»؛ وفي التذكرة الحمدونية ١/٤٢١ =

البشير إلى عبد الملك بذلك، وكتب كتاباً إلى أخته زينب، فأخـذت الكتاب وهي راكبـة، فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب، فسقطت زينب فماتت.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة توفّي واثلةُ بن الأسقع[1]، وهـو ابن خمس ومائـة سنة، وقيـل: مات سنـة خمس وثمانين، وهـو ابن ثمانٍ وتسعين سنـة.

وفيها مات زِرّ بن حُبيش[2]، وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة.

وأبو وائل شقيق بن سَلِمة[3] الأسْديُّ الكوفيُّ، وكان مولده سنة إحدى من الهجرة.

= رقم ١٠٩٧ «النمري»؛ وفي ربيع الأبرار ١/٧٥٧ «النّميري».

(١) أنـظر عن (واثلة بن الأسقـع) في: تـاريـخ الإسـلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢١٦ رقم ١١٦١ وفيـه مصـادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (زِرّ بن حُبَيش) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٦٦ رقم ٣١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) تقدّم في وفيات السنة الماضية.

٨٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وثمانين

ذكر قتل ابن القِرِّية

وفيها قتل الحجّاجُ أيّوبَ بن القِرِّية، وكان مع ابن الأشعث بدَيْر الجماجم، فلمّا هُزِم ابن الأشعث التحق أيّوب بحَوْشَب بن يزيد عاملِ الحجّاج على الكوفة، فاستحضره الحجّاج، فقال له: أقِلْني عثرتي، واسقِني ريقي، فإنّه ليس جوادٌ إلّا له كَبْوَة، ولا شجاع إلّا له هَبْوَة[١]، ولا صارم إلّا له نَبْوة. فقال الحجّاج: كلّا، والله لأزِيرنّك جهنّم. قال: فأرِحْني فإنّي أجد حَرّها! فأمر به فضُربت عنقه. فلمّا رآه قتيلاً قال: لو تركناه حتّى نسمع من كلامه[٢].

ذكر فتح قلعة نيزك بباذَغِيس[٣]

في هذه السنة فتح يزيد بن المهلّب قلعة نَيْزك، وكان يزيد قد وضع على نَيْزك العيون، فلمّا بلغه خروج نيزك عنها سار إليها فحاصرها، فملكها وما فيها من الأموال والذخائر، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها، وكان نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً لها؛ وقال كعب بن مَعْدان الأشقريُّ يذكرها:

وباذَغِيسُ التي مَن حلّ ذُرْوَتَها ... عزَّ الملوكَ فإن لشاء جار أو ظلَمَا[٤]
مَنيعةٌ لم يَكِدْها قَبْلَهُ ملك ... إلّا إذا واجَهتْ جيشاً له وَجَمَا
تُخالُ نيرانَها من بُعْدِ مَنظَرِها ... بعضَ النّجومِ إذا ما ليلُها عتَمَا[٥]

---

(١) البيان والتبيين ١/١١٢ و ٣٥٠.
(٢) الطبري ٦/٣٨٥، الأخبار الطوال ٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٠ وفيه ترجمته - ص ٤٣ رقم ٧ مع مصادر ترجمته.
(٣) في (ب): «بأذربيجان».
(٤) في الأوربية: عزّ الملوك فإن شاء جاراً ظلما.
(٥) الطبري ٦/٣٨٦، ٣٨٧ وفيه زيادة أبيات، نهاية الأرب ٢١/٢٠٣.

وهي أبيات عدّة؛ وقال أيضاً يذكر يزيد وفتحها:

نَفَى نيـزَكـاً عن بـاذَغِيسَ ونَيـزَكٌ ... بمنـزلَـةٍ[1] أعيـا المُلوكَ اغتِصـابُهَـا
مُـحَلِّقَـةٍ دونَ الـسَّمـاء كـأنَّـهـا ... غمـامـةُ صَيفٍ زَالَ[2] عنهـا سَحـابُهَـا
ولا تَبلغُ[3] الأرْوَى شنمـاريخَهـا العُلى ... ولا الـطَّيـرُ إلَّا نَسـرُهـا وعُقـابُهَـا
ومـا خُـوِّفتْ بـالـذِّئبِ وِلـدانُ أهلها ... وَلا نَـبَحـتْ إلَّا النَّجـومَ كـلابُـهَـا[4]

في أبياتٍ غيرها.

فلمّـا فتحها كتب إلى الحجّاج بالفتـح، وكان يكتب لـه يحيَى بن يَعْمـر العَـدْوانيُّ حليف هُذَيْل: إنّا لحِقنا العدوّ فمنحَنا اللّهُ أكتافَهم، فقتلنا طائفةً، وأسرنا طـائفةً، ولحِقت طائفة برؤوس الجبال، وعراعر الأودية، فأهضام الغيطان، وأثناء الأنهار. فقـال الحجّاج: مَنْ يكتب ليزيد؟ فقيل: يحيَى بن يَعْمر، فكتب إليه بحمله على البريد. فقدِم إليـه أفصح الناس. فقال: أينَ وُلدتَ؟ قال: بالأهواز. [قال]: فهذه الفصاحة من أين؟ قـال: حفظتُ من كـلام أبي، وكان فصيحـاً. قال: أخبِـرْني، هـل يَلْحَن عَنْبسـة بن سعيـد؟ قـال: نعم كثيراً. قال: ففلان؟ قال: نعم. قال: فأخبِرْني هل ألْحنُ؟ قال: نعم تَلْحن لَحناً خفـيّاً، تـزيد حـرْفاً، وتُنقص حـرفاً، وتجعـل أنْ في موضـع إنْ، وإنْ في موضـع أنْ. قال: قـد أجّلتك ثلاثاً، فإنْ وجدتك بأرض العراق قتلتك. فرجع إلى خُراسان[5].

ذكر عدّة حوادث

في هـذه السنة غـزا عبدُ الله بن عبـد الملك الرومَ ففتـح المَصِّيصَة وبنى حِصنهـا، ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس، ولم يكن المسلمون سكنوهـا قبل ذلـك، وبنى مسجدها[6].

---

(١) في الأوربية: «وينزل بمنزله».
(٢) الطبري، نهاية الأرب: «زلّ».
(٣) الطبري، نهاية الأرب: «يبلغ».
(٤) الطبري ٦/٣٨٧ مع أبيات أخرى، نهاية الأرب ٢١/٢٠٣.
(٥) الطبري ٦/٣٨٧، ٣٨٨، نهاية الأرب ٢١/٢٠٣، ٢٠٤.
(٦) فتوح البلدان ١٩٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٢، تاريخ الطبري ٦/٣٨٥، الخراج وصناعة الكتابة ٣٠٧، نهاية الأرب ٢١/٢٠٤، تاريخ العظيمي ١٩٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢١، البداية والنهاية ٩/٥٢.

وحجَّ بالناس هذه السنـة هشامُ بن إسمـاعيل[1].

وكـان العُمّال مَنْ تقـدّم ذكرهم[2].

وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية[3].

[الوفَيَات]

وفيهـا مـات عبـدُ الله بن الحـارث[4] بن نَـوْفـل الملقّب ببَبَّـة بعُمـان، وكـان يسكن البصرة، وكان مولده على عهد رسول الله ﷺ.

---

(١) تـاريخ خليفـة ٢٩٠، المحبّر ٢٥، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبـري ٦/٣٨٤، مـروج الـذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٤، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣.

(٢) الطبري ٦/٣٨٤.

(٣) تاريخ خليفة ٢٩٠، تاريخ العظيمي ١٩٤، البداية والنهاية ٩/٥٢.

(٤) انـظر عن (عبد الله بن الحـارث) في: تاريخ الإسـلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٠٥ رقم ٦٥ وفيـه مصـادر ترجمته.

٨٥
ثم دخلت سنة خمسٍ وثمانين

ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث

لمّا انصرف عبد الرحمن إلى رُتبيل من هَراة قال له علقمة بن عَمرو الأوْديّ: ما أريد أن أدخل معك لأنّي أتخوّف عليك وعلى مَنْ معك، [والله] لكأنّي بالحجّاج وقد كتب إلى رُتبيل يرغّبه ويُرَهّبه، فإذا هو قد بعث بك سَلْماً أو قَتلكم، ولكن معي خمسمائة قد تبايعنا[1] على أن ندخل مدينة نتحصّن بها حتّى نُعْطَى الأمان، أو نموت كراماً، ولم يدخل إلى بلاد رُتبيل معه، وخرج هؤلاء الخمسمائة، وجعلوا عليهم مودوداً البصْريَّ، وقدِم عليهم عُمارة بن تميم اللخميُّ فحاصرهم، فامتنعوا حتّى آمنهم، فخرجوا إليه، فوفى لهم.

وتتابعت كُتُب الحجّاج إلى رُتبيل في عبد الرحمن: أن ابعثْ به إليّ وإلاّ والذي لا إله غيره لأوطئنّ أرضك ألفَ ألفِ مقاتل.

وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عُبيد بن سُبيع التميميُّ، وكان رسوله إلى رُتبيل، فخصّ برُتبيل وخفّ عليه، فقال القاسم بن محمّد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إنّي لا آمن غدر هذا التميميّ فاقتلْه. فخافه عُبيد ووشى به إلى رُتبيل، وخوّفه الحجّاجَ، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث وقال له: أنا آخذ لك من الحجّاج عهداً ليكفّنّ عن أرضك سبْع سِنين، على أن تدفع إليه عبد الرحمن. فأجابه إلى ذلك، فخرج عُبَيد إلى عُمارة سرّاً، فذكر له ما استقرّ مع رُتبيل وما بذل له، وكتب عُمارة إلى الحجّاج بذلك، وأجابه إليه أيضاً، وبعث رُتبيل برأس عبد الرحمن إلى الحجّاج.

وقيل: إنّ عبد الرحمن كان قد أصابه السلّ فمات، فأرسل رُتبيل إليه، فقطع رأسه قبل أن يُدْفَن، وأرسله إلى الحجّاج.

---

(١) في الأوربية: «تباعينا».

وقد قيل: إنّ رُتبيل لما صالح عُمارةَ بن تميم اللخميَّ على ابن الأشعث، كتب عُمارة إلى الحجّاج بذلك، فأطلق له خراج بلاده عشر سنين، فأرسل رُتبيل إلى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته، فحضروا فقيّدهم وأرسلهم إلى عُمارة، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر، فمات فاحتزّ رأسه وسيّره إلى الحجّاج، فسيّره الحجّاج إلى عبد الملك، وسيّره عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز؛ فقال بعض الشعراء:

هيهات موضعُ جثّةٍ مِن رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجُثّةٌ بالرُّخّجِ[1]

وقيل: إنّ هلاك عبد الرحمن كان سنة أربعٍ وثمانين.

ذكر عزل يزيد بن المهلّب عن خُراسان وولاية أخيه المفضّل

وفي هذه السنة عزل الحجّاجُ يزيدَ بن المهلّب عن خُراسان.

وكان سبب عزله إيّاه أنّ الحجّاج وفد إلى عبد الملك، فمرّ في طريقه براهب فقيل له: إنّ عنده علماً، فدعا به وسأله هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن؟ قال: نعم. قال: مسمًّى أم موصوف؟ فقال: كلّ ذلك نجده موصوفاً بغير اسم، ومسمًّى بغير صفة. قال: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال: نجده في زماننا: ملك أفرعْ، مَن يقم لسبيله يُصرعْ. قال: ثمّ مَنْ؟ قال: اسم رجل يقال له الوليد، ثمّ رجل اسمه اسم نبيّ يُفتح به على الناس. قال: أفتعلم من يلي بعدي؟ قال: نعم، رجل يقال له يزيد. قال: أفتعرف صفته؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا. فوقع في نفسه أنّه يزيد بن المهلّب، ثمّ سار وهو وَجِلٌ من قول الراهب، ثمّ عاد وكتب إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلّب، ويُخبره أنّهم زُبَيرِيّة. فكتب إليه عبد الملك: إنّي لا أرى طاعتهم لآل الزُّبير نقصاً بآل المهلّب، وفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي.

فكتب إليه الحجّاج يخوّفه غدره وبما قال الراهب. فكتب عبد الملك إليه: إنّك قد أكثرتَ في يزيد وآل المهلّب، فسمّ لي رجلاً يصلح لخُراسان. فسمّى قُتَيبة بن مسلم، فكتب إليه أن وَلِّهِ.

وبلغ يزيدَ أنّ الحجّاج عزله، فقال لأهل بيته: مَنْ ترَوْن الحجّاج يولّي خُراسان؟

---

(1) الطبري ٦/٣٨٩ ـ ٣٩١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢٢، ٢٣، وفي البدء والتاريخ ٦/٣٧، والتنبيه والإشراف ٢٧٣.

يا بُعْد مصرع جثّة من رأسها ... رأسٌ بمصر وجُثّة بالرُّخّجِ.

وزاد في التنبيه:

قتلوه بغياً ثم قالوا: بايعوا ... وجرى البريد برأس أروع أبْلج

قالوا: رجلاً من ثقيف. قال: كَلاّ، ولكنّه يكتب إلى رجل منكم بعهده، فإذا قدِمتُ عليه عزله، وولّى رجلاً من قيس[1]، وأخلِقْ بقتيبة بن مسلم.

فلمّا أذِن عبد الملك في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه المفضَّل ويُقبل إليه.

واستشار يزيدُ حُضَينَ بن المنذر الرَّقاشيَّ، فقال له: أقِمْ واعتلّ، واكتب إلى أمير المؤمنين ليُقِرّك، فإنّه حسن الحال والرأي فيك. قال يزيد: نحن أهل بيت قد بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره الخلاف. فأخذ يتجهّز، فأبطأ، فكتب الحجّاج إلى المفضَّل: إنّي قد ولّيتُك خُراسان. فجعل المفضَّل يستحثّ يزيد، فقال له يزيد: إنّ الحجّاج لا يُقِرّك بعدي، وإنّما دعاه إلى ما صنع مخافة أن امتنع عليه، وستعلم.

وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين، وأقرّ الحجّاجُ أخاه المفضَّل تسعة أشهر، ثمّ عزله.

وقد قيل: إنّ سبب عزله أنّ الحجّاج لمّا فرغ من عبد الرحمن بن الأشعث لم يكن له همّ إلّا يزيد بن المهلّب وأهل بيته، وقد كان أذلّ أهل العراق كلّهم إلّا آل المهلّب ومَنْ معهم بخُراسان، وتخوّفه على العراق، وكان يبعث إليه ليأتيه فيعتلّ عليه بالعدوّ والحروب، فكتب الحجّاج إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد، ويُخبره بطاعتهم لآل الزّبير، فكتب إليه عبد الملك بنحو ما تقدّم، وساق باقي الخبر كما تقدّم؛ وقال حُضين ليزيد:

أمَرْتُكَ أمراً حازِماً فَعَصَيْتَني ... فأصبحتَ مَسلوبَ الإمارَةِ نادِمَا
فما أنا بالباكي عَلَيكَ صَبابَةً ... وَما أنا بالدّاعي لترْجِعَ سالِمَا[2]

قال: فلمّا قدِم قُتيبة خُراسان قال لحُضين: ما قلتَ ليزيد؟ قال: قلتُ:

أمَرْتُكَ أمراً حازِماً فعَصَيتَني ... فنَفسَكَ أوْلِ[3] اللّوْمَ إنْ كنتَ لائِمَا
فإن يبلغِ الحجّاجَ أن قد عصَيتَهُ ... فإنّكَ تَلقَى أمرَهُ مُتَفاقِمَا

قال: فماذا أمرته به [فعصاك]؟ قال: أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلّا حملها إلى الأمير. قال بعضهم: فوجده قُتَيبة قارحاً[4].

(١) في (ر): «ثقيف».
(٢) الطبري ٣٩٦/٦.
(٣) في الأوربية: «ودّ».
(٤) الطبري ٣٩٦/٦.

وقيل: كتب الحجّاج إلى يزيد: اغزُ خُوارِزم، فكتب: إنّها قليلة السَّلَب، شديدة الكلَب. فكتب إليه الحجّاج: استخلِفْ واقدِمْ. فكتب: إنّي أريد أن أغزو خُوارزم. فكتب الحجّاج: لا تغزُها[1]، فإنّها كما ذكرتَ. فغزا ولم يُطِعْه، فصالحه أهلُها وأصاب سبْياً، وقفل في الشتاء، وأصاب الناسَ بردٌ، فأخذوا ثياب الأسرى، فمات ذلك السبْي. فكتب إليه الحجّاج أن اقدمْ. فسار إليه، فكان لا يمرّ ببلد إلاّ فرش أهله الرياحين[2].

(حُضَين بن المنذر: بالحاء المهملة المضمومة، والضاد المعجمة المفتوحة، وآخره نون).

ذكر غزو المفضّل باذَغيس وآخرون

لمّا ولي المفضَّل خُراسانَ غزا باذَغيس ففتحها، وأصاب مغنماً فقسّمه، فأصاب كلّ رجل ثماني مائة. ثمّ غزا آخرون وشومان، فغنِم وقسّم ما أصاب، ولم يكن للمفضّل بيت مال، كان يعطي الناس كلّما جاء شيء، وإن غنِم شيئاً قسّمه بينهم[3].

ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم

في هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بتِرْمِذ.

وكان سبب مصيره إلى ترمذ أنّ أباه لما قتل مَنْ قتل من بني تميم، وقد تقدّم ذِكر ذلك، تفرّق عنه أكثر مَن كان معه منهم، فخرج إلى نَيْسابور، وخاف بني تميم على ثَقَله بمَرْو، فقال لابنه موسى: خذْ ثَقَلي واقطعْ نهر بَلْخ حتّى تلتجىء إلى بعض الملوك، وإلى حصنٍ تُقيم[4] فيه. فرحل موسى عن مرو في عشرين ومائتي فارس، واجتمع إليه تتمّة أربعمائة، وانضمّ[5] إليه قوم من بني سُلَيم، فأتى زَمّ[6]، فقاتله أهلُها، فظفر بهم فأصاب مالاً، وقطع النهر، وأتى بخارى، فسأل صاحبَها أن يلجأ إليه فأبَى. فخافه وقال: رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه. ووصله وسار، فلم يأتِ ملكاً يلجأ إليه إلاّ كره مُقامه عنده، فأتى سمرقند فأقام بها، وأكرمه ملكها طَرْخُون، وأذِن له في المقام، وأقام ما شاء الله.

---

(١) في الأوربية: «تغزيها».

(٢) الطبري ٦/٣٩٣ - ٣٩٦، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣ - ٢٦٥.

(٣) الطبري ٦/٣٩٧.

(٤) في الأوربية: «تقوم».

(٥) في الأوربية: «وانضمّوا».

(٦) في (ب): «رهر» و (ر): «ذمّة».

ولأهل الصُّغْد مائدة يوضع عليها لحم وخلّ وخبز وإبريق شراب، وذلك كلّ عام يوماً، يجعلون ذلك لفارس الصُّغد، فلا يقربه غيره، فإن أكل منه أحد بارزه، فأيّهما قتل صاحبه فالمائدة له. فقال رجل من أصحاب موسى: ما هذه المائدة؟ فأخبر، فجلس فأكل ما عليها، وقيل لصاحب المائدة، فجاء مغضباً وقال: يا عربيّ بارزْني! فبارزه فقتله صاحب موسى، فقال ملك الصُّغْد: أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسي، لولا أنّي آمنتك وأصحابك لقتلتكم، اخرجوا عن بلدي. فخرجوا.

فأتى كِشَّ، فضعُف صاحبها عنه، فاستنصر طَرْخُونَ فأتاه، فخرج موسى إليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس، فقاتلهم حتّى أمسوا وتحاجزوا، وبأصحاب موسى جراح كثيرة، فقال لزُرْعة بن علقمة: احتل[1] لنا على طرخون. فأتاه فقال: أيّها الملك ما حاجتك إلى أن تقتل موسى وتُقْتَل معه، فإنّك لا تصل إليه حتّى يقتلوا [مثل] عدّتهم منكم، ولو قتلته وإيّاهم جميعاً (ما نِلْتَ حظّاً)[2]، لأنّ له قدراً في العرب، فلا يأتي أحد خُراسان إلّا طالبك بدمه. فقال: ليس لي إلى ترك كشّ في يده سبيل. قال: فكفّ عنه حتّى يرتحل. فكفّ.

وسار موسى فأتى تِرْمِذ وبها حصن يُشرف على جانب النهر، فنزل موسى خارج الحصن، وسأل تِرْمِذشاه أن يُدْخله حصنه، فأبَى، فأهدى له موسى ولاطفه حتّى حصل بينهما مودّة، وخرج فتصيّد معه. فصنع صاحب تِرْمِذ طعاماً، وأحضر موسى ليأكل معه، ولا يحضر إلّا في مائة من أصحابه، فاختار موسى مائة من أصحابه، فدخلوا الحصن وأكلوا، فلمّا فرغوا قال له: اخرجْ، قال: لا أخرج حتّى يكون الحصن بيتي أو قبري. وقاتلهم فقتل منهم عدّةً، وهرب الباقون، واستولى موسى عليها، وأخرج ترمذشاه منها، ولم يعرض له ولا لأصحابه، فأتوا التُّرك يستنصرونهم على موسى، فلم ينصروهم وقالوا: لا نقاتل هؤلاء. وأقام موسى بتِرْمِذ، فأتاه جمعٌ من أصحاب أبيه فقوي بهم. فكان يخرج فيغير على ما حوله.

ثمّ وليَ بُكَير بن وَسّاج خُراسان، فلم يعرض له، ثمّ قدِم أميّة فسار بنفسه يريد مخالفة بُكَير فرجع، على ما تقدّم ذكره. ثمّ إنّ أميّة وجّه إلى موسى بعد صُلْح بُكَير رجلاً من خُزاعة في جمْعٍ كثير، وعاد أهل تِرْمذ إلى التُّرك، فاستنصروهم وأعلموهم أنّه قد غزاهُ قوم من العرب وحصروه. فسارت التُّركُ في جمع كثير إلى الخُزاعيّ، فأطاف بموسى التُّركُ والخُزاعيُّ، فكان يقاتل الخزاعيَّ أوّل النهار، والتُّركَ آخر النهار، فقاتلهم

---

(١) في الأوربية: «احتال».

(٢) في الأوربية: «فإنّك خطأ».

شهرَين أو ثلاثة. ثمّ إنّه أراد أن يبيّت الخزاعيَّ وعسكره، فقال له عَمْرو بن خالد بن حُصَين الكلابيُّ: ليكن البيات بالعجم، فإنّ العرب أشدّ حذراً وأجرأ على الليل، فإذا فرغنا من العجم تفرّغنا للعرب.

فأقام حتّى ذهب ثُلثُ الليل، وخرج موسى في أربعمائة، وقال لعَمرو بنِ خالد: اخرجْ بعدنا، فكن أنت ومَنْ معك قريباً، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبّروا. ثمّ سار حتّى ارتفع فوق عسكر التُّرك، ورجع إليهم، وجعل أصحابه أرباعاً، وأقبل إليهم، فلمّا رآهم أصحاب الأرصاد قالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: عابرو سبيل. فلمّا جاوزوا الرَّصد حملوا على التُّرك وكبّروا، فلم يشعر التُّرك إلاّ بوقْع السيوف فيهم، فساروا يقتل بعضهم بعضاً وولّوا، فأُصيب من المسلمين ستّة عشر رجلاً، وحووا عسكرهم، وأصابوا سلاحاً كثيراً ومالاً، وأصبح الخزاعيّ وأصحابه وقد كسرهم ذلك، فخافوا مثلها، فقال عَمرو بن خالد لموسى: إنّنا لا نظفر إلاّ بمكيدة، ولهم أمداد وهم كثيرون، فدعْني آتِهِ، لعلّي أُصيب فرصة فاضربْني وخلاك ذمٌّ. فقال له موسى: تتعجّل الضرب وتتعرّض للقتل. قال: أمّا التعرّض للقتل، فأنا كلّ يوم متعرّض له، وأمّا الضرب، فما أيسره في جنب ما أريد. فضربه موسى خمسين سوطاً، فخرج من عسكر موسى وأتى عسكر الخُزاعيّ مستأمناً وقال: أنا رجل من أهل اليمن كنتُ مع عبد الله بن خازم، فلمّا قُتل أتيتُ ابنه فكنتُ معه، وإنّه اتّهمني وقال: قد تعصّبتَ لعدوّنا وأنت عين له، فضربني ولم آمن القتل فهربتُ منه. فآمنه الخزاعيُّ وأقام معه، فدخل يوماً وهو خالٍ، ولم يرَ عنده سلاحاً، فقال كأنّه ينصح له: أصلح اللّهُ الأمير، إنّ مثلك في مثل هذه الحال لا ينبغي أن يكون بغير سلاح. قال: إنّ معي سلاحاً. فرفع طرف فراشه فإذا سيف منتضى، فأخذه عَمرو فضربه حتّى قتله، وخرج فركب فرسه وأتى موسى، وتفرّق ذلك الجيش، وأتى بعضهم موسى مستأمناً فآمنه، ولم يوجّه إليه أميّة أحداً.

وعُزل أميّة وقدِم المهلّب أميراً، فلم يتعرّض لموسى وقال لبنيه: إيّاكم وموسى، فإنّكم لا تزالون وُلاة خراسان ما دام هذا الثَّبِط بمكانه، فإن قُتل فأوّل طالع عليكم أمير على خُراسان من قيس. فلمّا مات المهلّب وولِيَ يزيد لم يتعرّض أيضاً لموسى.

وكان المهلّب قد ضرب حُرَيْث بن قُطْبَة الخُزاعيَّ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى، فلمّا ولِيَ يزيد بن المهلّب أخذ أموالهما وحُرَمَهما، وقتل أخاهما لأمّهما الحارثِ بن مُنْقذ. فخرج ثابت إلى طَرْخُون، فشكا إليه ما صنع به، وكان ثابت محبوباً إلى التُّرك بعيد الصوت فيهم، فغضب له طرخون وجمع له نَيْزَك والسَّبْل وأهل بخارى والصَّغانيان، فقدِموا مع ثابت إلى موسى، وقد اجتمع إلى موسى فَلّ عبد الرحمن بن

العبّاس من هَراة، وفلّ ابن الأشعث من العراق، ومن ناحية كابُل، فاجتمع معه ثمانية آلاف، فقال له ثابت وحُرَيْث: سِر حتّى تقطع النهر، وتُخْرِج يزيد عن خُراسان ونولّيك. فهمَّ[1] أن يفعل، فقال له أصحابه: إن أخرجت يزيد عن خراسان تولّى ثابت وأخوه خراسان وغلباك عليها. فلم يسرْ وقال لثابت وحُريث: إن أخرجنا يزيد قدِم عامل لعبد الملك، ولكنّا نخرج عمّال يزيد عمّا وراء النهر، ويكون لنا، فأخرجوا عمّال يزيد عمّا وراء النهر وجبوا الأموال، فقوي أمرهم، وانصرف طرخون ومن معه، واستبدّ ثابت وحُريث بتدبير الأمر، والأمير موسى ليس له غير الاسم.

فقيل لموسى: ليس لك من الأمور شيء، والأمور إلى ثابت وحُريث فاقتلهما وتولّ الأمر. فأبَى، فألحّوا عليه حتّى أفسدوا قلبه عليهما، وهمّ بقتلهما.

فإنّهم لفي ذلك إذ خرج عليهم الهياطلة والتُّبَّت والتُّرك في سبعين ألفاً لا يعدّون الحاسر، ولا صاحب البيضة الجمّاء، ولا يعدّون إلّا صاحب بيضة ذات قَوْنس. فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمَنْ معه، ووقف ملك التُّرك على تلّ في عشرة آلاف في أكمل عدّة، والقتال أشدّ ما كان، فقال موسى: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء. فقصد لهم حُرَيث بن قُطْبة فقاتلهم وألحّ عليهم حتّى أزالهم عن التلّ، ورُمي حُرَيث بنشّابة في جبهته، فتحاجزوا، فبيّتهم[2] موسى، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتّى وصل إلى شمعة ملكهم، فوجأ رجلاً منهم بقبيعة سيفه، فطعن فرسه، فاحتمله الفرس، فألقاه في نهر بَلْخ، فغرق، وقُتل من التُّرك خلْق كثير، ونجا مَن نجا منهم بشرّ، ومات حُريث بعد يومين.

ورجع موسى وحمل معه الرؤوس فبنى منها جوسَقَين. وقال أصحاب موسى: قد كُفينا أمر حُريث، فاكفِنا أمر ثابت. فأبَى، وبلغ ثابتاً بعض ما يخوضون فيه، فدسّ محمّدَ بن عبد الله الخُزاعيَّ ـ عمَّ نصر بن عبد الحميد، عامل أبي مسلم على الريّ ـ على موسى، وقال: إيّاك أن تتكلّم بالعربيّة، وإن سألوك فقلْ: أنا من سبي الباميان. ففعل ذلك واتّصل بموسى، وكان يخدمه وينقل إلى ثابت خبرهم، فحذر ثابت، وألحّ القوم على موسى. فقال لهم ليلة: لقد أكثرتم عليّ وفيما تريدون هلاككم، فعلى أيّ وجه تقتلونه، و[أنا] لا أغدر[3] به؟ قال له أخوه نوح: إذا أتاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور، فضربنا عُنقه فيها قبل أن يصل إليك. فقال: والله إنّه هلاككم، وأنتم أعلم.

---

(١) في الأوربية: «منهم».
(٢) في الأوربية: «وتحاجز بينهم».
(٣) في الأوربية: «غدر».

فخرج الغلام فأتى ثابتاً فأخبره، فخرج من ليلته في عشرين فارساً ومضى. وأصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام، فعلموا أنّه كان عيناً له.

ونزل ثابت بحوشرا[1]، واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم، فأقبل موسى إليه وقاتله، وتحصّن ثابت بالمدينة، وأتاه طرخون معيناً له، فرجع موسى إلى تِرْمِذ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بُخَارى ونَسَف وكِشّ، فاجتمعوا في ثمانين[2] ألفاً، فحصروا موسى حتّى جهِد هو وأصحابه، فلمّا اشتدّ عليهم قال يزيد بن هُذَيل: والله لأقتلنّ ثابتاً أو لأموتنّ. فخرج إلى ثابت فاستأمنه، فقال له ظُهَير: أنا أعرَف بهذا منك، ما أتاك إلّا بغدره فاحذرْه، فأخذ ابنَيْه قُدَامة والضحّاك رهناً، فكانا في يد ظُهَير.

وأقام يزيد يلتمس غِرّة ثابت، فلم يقدر على ما يريد، حتّى مات ابن لزياد القَصير الخزاعيّ، فخرج ثابت إليه ليعزّيه وهو بغير سلاح، وقد غابت الشمس، فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه، فوصل إلى الدماغ وهرب فسلم، وأخذ طرخون قُدامة والضحّاك ابنَيْ يزيد فقتلهما، وعاش ثابت سبعة أيّام ومات، وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظُهَير بأمر أصحاب ثابت، فقاما قياماً ضعيفاً، وانتشر أمرهم وأجمع موسى على بياتهم، فأُخبر طرخون بذلك فضحك وقال: موسى يعجز أن يدخل متوضّأه فكيف يبيّتنا؟ لا يحرس الليلة أحد.

فخرج موسى في ثمانمائة وجعلهم أرباعاً وبيّتهم، وكان لا يمرّ بشيء إلّا ضربوه من رجل ودابّة وغير ذلك، فلبس نيزك سلاحه ووقف، وأرسل طرخون إلى موسى أن كفّ أصحابك فإنّا نرحل إذا أصبحنا. فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعاً.

فكان أهل خُراسان يقولون: ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به، قاتل مع أبيه سنتَين، ثمّ خرج يسير في بلاد خُراسان، فأتى ملكاً فغلب على مدينته وأخرجه منها، وسار الجنود من العرب والترك إليه، وكان يقاتل العرب أوّل النهار والترك آخر النهار.

وأقام موسى في الحصن خمس عشرة سنة، وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه أحد.

فلمّا عُزل يزيد بن المهلّب ووليَ المفضّل أراد أن يَحْظى عند الحجّاج بقتال موسى بن عبد الله، فسيّر عثمانَ بنَ مسعود إليه في جيش، وكتب إلى مُدْرِك بن المهلّب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً، فكتب إلى السَّبْل وإلى

---

(١) في (ب): «بخوش»، و (ر): «بخشور» و (آ) ونسخة بودليان: «بحشور».

(٢) في (ر): «ثلاثين».

طرخون فقدِموا عليه، فحصروا موسى وضيّقوا عليه وعلى أصحابه.

فمكث شهرَين في ضيق، وقد خندق عثمان عليه وحذِر البيات، فقال موسى لأصحابه: اخرجوا بنا، حتّى متى نصبر! فاجعلوا يومكم معهم إمّا ظفرتم وإمّا قُتلتم واقصدوا الترك. فخرجوا وخلّف النَّضْر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة، وقال له: إن قُتلتُ فلا تدفعنّ المدينة إلى عثمان وادفعها إلى مُدْرك بن المهلّب. وخرج وجعل ثلث أصحابه بإزاء عثمان، وقال: لا تقاتلوه إلاّ أن يقاتلكم. وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم القتال، فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم، وزحفت التُّرك والصُّغْد فحالوا بين موسى والحصن، فقاتلهم، فعقروا فرسه فسقط، فقال لمولى له: احملْني. فقال: الموت كريه ولكن ارتدف، فإنْ نجونا نجونا جميعاً، وإن هلكنا هلكنا جميعاً. قال: فارتدف، فلمّا نظر إليه عثمان حين وثب قال: وثبة موسى وربِّ الكعبة! وقصد إلى موسى، وعُقرت دابّة موسى فسقط هو ومولاه، فقتلوه، ونادى منادي عثمان: مَنْ لقيتموه فخذوه أسيراً ولا تقتلوا أحداً.

فقَتل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصّة، فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلقه، وكان فظّاً غليظاً.

وكان الذي أجهز على موسى واصل بن طَيْسَلة[1] العنبريُّ.

وبقيت المدينة بيد النَّضر بن سليمان، فلم يدفعها إلى عثمان، وسلّمها إلى مُدْرك بن المهلّب وآمنه، فسلّمها مدرك إلى عثمان، وكتب المفضَّل إلى الحجّاج بقتل موسى. فقال: العجب منه! أكتب إليه بقتل ابن سَبرة، فيكتب إليّ أنّه لمآبه، ويكتب إليّ أنّه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم. ولم يسرّه قتل موسى لأنّه من قيس.

وقُتل موسى سنة خمسٍ وثمانين، وضرب رجل من الجُند ساق موسى، فلمّا وليَ قُتَيْبَة قال: ما دعاك إلى ما صنعت بفتى العرب بعد موته؟ قال: كان قتل أخي. فأمر به فقُتل[2].

ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد، ويبايع لابنه الوليد بن عبد الملك، فنهاه عن ذلك قَبيصة بن ذُؤيب وقال: لا تفعلْ فإنّك تبعث

---

(١) في (ب): «طيلسة».

(٢) الطبري ٦/٣٩٨ - ٤١٢، نهاية الأرب ٢١/٢٦٥ - ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٤، البداية والنهاية ٩/٥٦، ٥٧.

على نفسك صوت عار، ولعلّ الموت يأتيه [فتستريح منه]. فكفّ عنه ونفسه تنازعه إلى خلعه. فدخل عليه رَوْح بن زِنْباع، وكان أجلّ الناس عند عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين لو خلعتَه ما انتطح فيه عنزان، وأنا أوّل مَنْ يجيبك إلى ذلك. قال: نصبح إن شاء الله. ونام رَوْح عند عبد الملك، فدخل عليهما قَبيصة بن ذؤيب وهما نائمان، وكان عبد الملك قد تقدّم إلى حجّابه أن لا يحجبوا قَبيصة عنه، وكان إليه الخاتم والسكّة تأتيه الأخبار قبل عبد الملك والكُتُب. فلمّا دخل سلّم عليه، قال: آجرك الله في عبد العزيز أخيك. قال: هل توفّي؟ قال: نعم. فاسترجع ثمّ أقبل على رَوْح وقال: كفانا الله ما كنّا نريد، وكان ذلك مخالفاً لك يا قبيصة. فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إن الرأي كلّه في الأناة، فقال عبد الملك: وربّما كان في العجلة خير كثير[1]، رأيتَ أمر عَمْرو بن سعيد، ألم تكن العجلة فيه خيراً[2] من الأناة؟

وكانت وفاة عبد العزيز في جُمادَى الأولى في مصر، فضمّ عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولّاه مصر.

وقيل: إنّ الحجّاج كتب إلى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد، وأوفد في ذلك وفداً، فلمّا أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب إلى عبد العزيز: إن رأيتَ أن يصير هذا الأمر لابن أخيك. فأبَى، فكتب إليه ليجعل الأمر له، ويجعله له أيضاً من بعده. فكتب إليه عبد العزيز: إنّي أرى في ابني أبي بكر ما ترى في الوليد. فكتب إليه عبد الملك ليحمل خراج مصر، فأجابه عبد العزيز: إنّي وإيّاك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلّا كان بقاؤه قليلاً، وإنّا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أوّلاً، فإن رأيتَ أن لا تفسد عليّ بقيّة[3] عمري فافعلْ. فرقّ له عبد الملك وتركه، وقال للوليد وسليمان: إنْ يُرِدِ[4] الله أن يعطيكما الخلافة لايقدر أحد من العباد على ردّ ذلك. فقال عبد الملك حيث ردّه عبد العزيز: اللهمّ إنّه قطعني فاقطعه.

فلمّا مات عبد العزيز قال أهل الشام: رُدّ على أمير المؤمنين أمره. فلمّا أتى خبر موته إلى عبد الملك أمرَ الناسَ بالبيعة لابنَيه الوليد وسليمان، فبايعوا، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان. وكان على المدينة هشام بن إسماعيل، فدعا الناسَ إلى البيعة فأجابوا، إلّا سعيد بن المسَيّب فإنّه أبَى وقال: لا أبايع وعبد الملك حيٌّ، فضربه هشام ضرباً مبرّحاً،

---

(١) في الأوربية: «خيراً كثيراً».

(٢) الأوربية: «خير».

(٣) في الأوربية: «نفسد عليّ بيعة».

(٤) في الأوربية: «يريد».

وطاف به وهو في تبّان شعر حتّى بلغ رأس الثنيّة التي يقتلون ويصلبون عندها، ثمّ ردّوه وحبسوه. فقال سعيد: لو ظننتُ أنّهم [لا] يصلبونني ما لبستُ[1] ثياب مسوح، ولكنّي قلت: يصلبونني فيسترني. فبلغ عبدَ الملك الخبرُ فقال: قبّحَ الله هشاماً، إنّما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة، فإن أبَى أن يبايع فيضرب عنقه أو يكفّ عنه. وكتب إليه يلومه ويقول له:

إنّ سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف.

وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزّبير وقال: لا أبايع حتّى يجتمع الناس. فضربه جابر بن الأسود عامل ابن الزّبير ستّين سوطاً، فبلغ ذلك ابنَ الزّبير، فكتب إلى جابر يلومه وقال: ما لنا ولسعيد، دَعْه لا تعرضْ له.

وقيل: إنّ بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربعٍ وثمانين، والأوّل أصحّ، قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر، فلمّا فارقه وصّاه عبد الملك فقال: ابسطْ بِشْرك، وألنْ كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فهو أبلغ بك، وانظر حاجبك، وليكنْ من خير أهلك، فإنّه وجهك ولسانك، ولا يقفنّ أحد ببابك إلّا أعلمك مكانه، لتعلم أنت الذي تأذن له أو تردّه، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جُلساءَك[2] بالكلام يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبّتك، وإذا انتهَى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنّها تفتح مغاليق الأمور المهمّة، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وإذا سخطتَ على أحد فأخّر عقوبته، فإنّك على العقوبة بعد التوقّف عنها أقدر منك على ردّها بعد إمضائها. والسلام[3].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزوميُّ[4] وكان العامل على العراق والمشرق الحجّاج بن يوسف[5]. وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية، فصاف فيها وشتّى[6].

---

(١) في الأوربية: «فالبست».

(٢) في الأوربية: «جلساؤك».

(٣) الطبري ٦/٤١٣ ـ ٤١٧، نهاية الأرب ٢١/٢٧٥ ـ ٢٧٦، وانظر عن (عبد العزيز بن مروان) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٣٢ رقم ٩٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) تاريخ خليفة ٢٩١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، الطبري ٦/٤١٧، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٢٧٦، البداية والنهاية ٩/٦٠.

(٥) الطبري ٦/٤١٧.

(٦) تاريخ خليفة ٢٩١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢٣.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات عمرو بن حُرَيْث[1] المخزوميُّ.

وفيها مات عبد الله بن الحارث[2] بن جَزء الزبيديُّ، وقيل سنة سبْع، وقيل سنة ثمانٍ وثمانين.

وفيها مات عبد الله بن عامر[3] بن ربيعة حليف بني عديّ، وكان له لما توفّي النبيّ ﷺ، أربع سنين.

---

(1) انظر عن (عمرو بن حريث) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٦٥ رقم ١١٩ وفيه مصادر ترجمته.

(2) انظر عن (عبد الله بن الحارث) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٠٤ رقم ٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (عبد الله بن عامر) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١١٤ رقم ٧٧ وفيه مصادر ترجمته.

٨٦
ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر وفاة عبد الملك

في هذه السنة توفّي عبد الملك بن مروان منتصف شوّال، وكان يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه وُلدتُ وفيه فُطمت وفيه جمعتُ القرآن، وفيه بايع لي الناس، فمات للنصف من شوّال حين أمن الموت في نفسه. وكان عمره ستّين سنة، وقيل ثلاثاً وستّين سنة، وكانت خلافته من لدن قُتل ابن الزّبَير ثلاث عشرة سنةً وأربعة أشهر إلّا سبع ليالٍ، وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً[١].

ولمّا اشتدّ مرضه قال بعضُ الأطباء: إن شرب الماء مات. فاشتدّ عطشه فقال: يا وليد اسقنِي ماء. قال: لا أُعين عليك. فقال لابنته فاطمة: اسقيني ماء. فمنعها الوليد. فقال: لتدعنّها أو لأخلعنّك. فقال: لم يبقَ بعد هذا شيءٌ؛ فسقته فمات. ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال: كيف أمير المؤمنين؟ قال: هو أصلح. فلمّا خرج قال عبد الملك:

ومستَخبِرٍ عنّا يُريدُ لنا الرّدَى ... ومُستَخبرات والدّموعُ سَوَاجمُ[٢]

وأوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنّها أزين حلية وأحصن كهف، ليعطِف الكبيرُ منكم على الصغير، وليعرفِ الصغير حقّ الكبير، وانظروا مَسْلمة فاصدروا عن رأيه، فإنّه نابكم الذي عنه تفترّون[٣]، ومجنّكم الذي عنه ترمون، فأكرموا الحجّاج، فإنّه الذي وطّأ لكم المنابر، ودوّخ لكم البلاد، وأذلّ الأعداء، وكونوا بني أمّ بَرَرَة[٤] لا تدبّ بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أمراراً، فإنّ القتال لا يُقرِّب مِيتةً[٥]. وكونوا للمعروف

---

(١) الطبري ٤١٨/٦ و ٤١٩.

(٢) تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٤٣ وفيه «والعيون سواجم»، نهاية الأرب ٢٧٧/٢١.

(٣) في الأوربية: «تقترون».

(٤) في طبعة صادر ٥١٨/٤ «بُرده»، والتصويب من: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٤٣، ونهاية الأرب ٢٧٨/٢١، وفي الفتوح لابن أعثم ٢٠٢/٧ «برة».

(٥) في تاريخ الإسلام «منيّة».

مناراً، فإنّ المعروف يبقى أجره وذكره[1]، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب، فإنّهم أصْون له وأشكر لما يُؤتَى إليهم منه، وتمغّدوا ذنوب أهل الذنوب، فإنِ استقالوا فأقيلوا، وإن عادوا فانتقموا[2].

ولما توفّي دُفن خارج باب الجابية، وصلّى عليه الوليد، فتمثّل هشام:

فما كان قَيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحد ... ولكنّهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدّمَا[3]

فقال الوليد: اسكتْ فإنّك تتكلّم بلسان شيطان، ألا قلت كما قال أوْس بن حَجَر:

إذا مقرمٌ منّا ذرَا حَدّ نابِه ... تخمّط منّا نابُ آخر مقرم

وقيل: إنّ سليمان تمثّل بالبيت الأوّل، وهو الصحيح، لأنّ هشاماً كان صغيراً له أربع عشرة سنة. وقد رثَى الشعراء عبدَ الملك، كُثَيِّر عزّة، وغيره، فممّا قيل فيه:

سقاكَ ابنَ مروانٍ من الغيثِ مُسْبِلُ ... أجشُّ شماليٌّ يجودُ ويهطِلُ

فما في حَياةٍ بَعدَ موْتكَ رغبَةٌ ... لحُرٍّ وإن كنّا الوَليدَ نؤمّلُ

ذكر نسبه وأولاده وأزواجه

أمّا نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف.

وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة.

وأمّا أولاده وأزواجه فمنهم: الوليد وسليمان ومروان الأكبر، دَرَجَ[4]، وعائشة؛ أمّهم ولّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن خُزَيْمَة[5] العبْسية؛ ومنهم: يزيد، ومروان، ومعاوية، دَرَجَ، وأمّ كلثوم؛ وأمّهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ ومنهم هشام، وأمّه أمّ هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة المخزوميّة، واسمها عائشة؛ ومنهم أبو بكر، وهو بكّار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبيد الله؛ ومنهم الحَكَم، دَرَجَ، أمّه أمّ أيّوب بنت عَمْرو بن عثمان بن عفّان؛ ومنهم فاطمة بنت

---

(١) في (ر): «وذخره».

(٢) في (ب): «فاشقوا». والخبر في: نهاية الأرب ٢١/٢٧٨.

(٣) الفخري ١٢٥.

(٤) دَرَجَ: أي مات صغيراً.

(٥) الطبري ٦/٤١٩، نهاية الأرب ٢١/٢٧٨ «جَذِيمة».

عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ومنهم عبدُ الله، ومَسْلمة، والمنذر، وعنبسة، ومحمّد، وسعيد الخير، والحجّاج، لأمّهات أولاد[1].

وكان له من النساء شقراء بنت مسلم[2] بن حُلَيْس[3] الطائيّ، وأمّ أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وقيل: كان عنده ابنة لعليّ بن أبي طالب، ولا يصحّ.

ذكر بعض أخباره

كان عبد الملك عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً.

قال أبو الزياد: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيّب، وعُروة بن الزّبَير، وقَبيصة بن ذُؤيب، وعبد الملك بن مروان. وقال الشّعبيُّ: ما ذاكرتُ أحداً إلاّ وجدتُ لي الفضل عليه إلاّ عبد الملك، فإنّي ما ذاكرتُه[4] حديثاً إلاّ زادني فيه، ولا شِعراً إلاّ زادني فيه[5]. وقال جعفر بن عُقْبَة الخطائيُّ: قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشّيْبُ. فقال: شيّبني[6] ارتقاء المنابر وخوف اللحن.

وقال عبد الملك: ما أعلم أحداً أقوى على هذا الأمر منّي، إنّ ابن الزّبير لَطويل الصلاة، كثير الصيام، ولكن لبُخْله لا يصلح أن يكون سائساً[7].

قال أبو مُسْهِر: قيل لعبد الملك في مرضه: كيف تجدك؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[8] الآية. وقال المفضّل بن فَضالة عن أبيه: استأذن قومٌ على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض، فدخلوا عليه وقد أسنده خصِيٌ إلى صدره، فقال لهم: إنكم دخلتم عليّ عند إقبال آخرتي وإدبار دُنياي، وإنّي تذكّرتُ أرجى عمل لي فوجدتها غزوة

---

(١) في الأوربية: «الأولاد».
(٢) الطبري «سلمة».
(٣) في (ر): «جلس»، والطبري، ونهاية الأرب «حلبس».
(٤) في الأوربية: «ذاكرت».
(٥) تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٣٩، نهاية الأرب ٢١/ ٢٧٩، الفخري ١٢٤.
(٦) في الأوربية: «شيبتني».
(٧) الطبري ٦/ ٤٢٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

غزوتها في سبيل الله وأنا خِلوٌ من هذه الأشياء، فإيّاكم وإيًّا أبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها.

وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخيُّ: لمّا نزل بعبد الملك بن مروان الموتُ أمر بفتح باب قصره، فإذا قصّار يقصّر ثوباً فقال: يا ليتني كنتُ قصّاراً! يا ليتني كنتُ قصّاراً! مرّتين. فقال سعيد بن عبد العزيز: الحمد لله الذي جعلهم يفزعون إلينا ولا نفزع إليهم.

وقال سعيد بن بشير: إنّ عبد الملك حين ثقُل جعل يلوم نفسَه ويضرب يده على رأسه، وقال: وددتُ أنّي كنتُ أكتسب يوماً بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله، فذُكر ذلك لابن خازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنّون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنّى عند الموت ما هم فيه. وقال مسعود بن خَلَف: قال عبد الملك بن مروان في مرضه: والله وددتُ أنّي عبدٍ لرجلٍ من تِهامة أرعى غنماً في جبالها، وأنّي لم أكُ شيئاً.

وقال عِمران بن موسى المؤدّب: يُروَى أنّ عبد الملك بن مروان لمّا اشتدّ مرضُه قال: ارفعوني على شَرَف. ففُعل ذلك. فتنسّم الروح ثمّ قال: يا دنيا ما أطيبَك! إنّ طويلك لقصير، وإنّ كبيرك لحقير، وإن كنّا منك لفي غرور! وتمثّل بهذين البيتين:

إن تناقشْ يكنْ نقاشُك يا رَ ... بّ عذاباً، لا طَوقَ لي بالعَذابِ
أوْ تجاوزْ فأنْتَ رَبٌّ صَفُوحٌ ... عَن مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كالتّرَابِ[1]

ويُروَى أنّ هذه الأبيات تمثّل بها معاوية، ويحقّ لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف، فإنّ مَنْ يكن الحجّاج بعض سيئاته يعلم على أيّ شيء يقدم عليه.

قال عبد الملك لسعيد بن المسيّب: يا أبا محمّد صرتُ أعمل الخير فلا أُسرّ به، وأصنع الشرّ فلا أُساء به. فقال: الآن تكامل فيك موت[2] القلب.

وكان عبد الملك أوّل مَن غدر في الإسلام[3]، وقد تقدّم فِعْله بعَمْرو بن سعيد. وكان أوّل من نقل الديوان من الفارسيّة إلى العربيّة[4]، وأوّل مَن نهَى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وكان الناس قبله يراجعونهم[5]، وأوّل خليفةٍ بَخِل، وكان يقال له: رَشْح

---

(١) الفخري ١٢٥، البداية والنهاية ٩/٦٨.
(٢) الأوربية: «الموت».
(٣) الأوائل للعسكري ١٦٩، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠، فوات الوفيات ٢/٤٠٤.
(٤) الأوائل ١٧٥، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠، فوات الوفيات ٢/٤٠٣.
(٥) الأوائل ١٧١، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠، فوات الوفيات ٢/٤٠٤، الفخري ١٢٢.

الحجارة لبُخْله[1]، وأوّل مَن نَهَى عن الأمر بالمعروف، فإنّه قال في خطبته بعد قَتل ابن الزّبير: ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربتُ عنقه[2].

---

(1) الأوائل ١٧٢، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠، مآثر الإنافة ١/١٢٧، ثمار القلوب ٥٥٨ رقم ٩١٣، فوات الوفيات ٢/٤٠٣ و٤٠٤.

(2) الأوائل ١٧٠، ١٧١، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك

فلمّا دُفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليدُ عن قبره، فدخل المسجد وصعِد المنبر، واجتمع إليه الناس فخطبهم وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، واللّهُ المستعان على مصيبتنا لموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة، قوموا فبايعوا[1].

وكان أوّل مَنْ عَزّى نفسه وهَنّأها؛ وكان أوّل مَنْ قام لبيعته عبد الله بن همّام السَّلوليّ وهو يقول:

اللّهُ أعطاكَ التي لا فَوْقَها ... وقد أراد المُلحدونَ عَوْقَها

عنكَ ويأبَى اللّهُ إلاّ سَوقَها ... إليكَ حتّى قلّدوك طَوْقَها

فبايعه، ثمّ قام الناس لبيعته[2].

وقد قيل: إنّ الوليد لمّا صعِد المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس، لا مقدِّم لِمَا أخّر الله، ولا مؤخِّر لِما قدّم، وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه، وما كتب على أنبيائه وحَمَلة عرشه الموت[3]، وقد صار إلى منازل الأبرار وليُّ هذه الأمّة بالذي يحقّ عليه لله من[4] الشدّة على المريب، واللين لأهل الحقّ والفضل، وإقامة من أقام الله من منار الإسلام، وأعلام من حجّ البيت، وغزو الثغور، وشنّ الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مفرّطاً. أيّها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الفرد[5]. أيّها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن[6] سكت مات

---

(١) الطبري ٦/٤٥٣، نهاية الأرب ٢١/٢٨١.

(٢) الطبري ١/٤٢٣، نهاية الأرب /٥٨١، البداية والنهاية ٩/٧٠.

(٣) في العقد الفريد «عرشه من الموت».

(٤) في الأوربية: «الله عليه في».

(٥) في الأوربية: «المرد».

(٦) في (ب): «ومتى».

بدائه. ثمّ نزل. وكان جبّاراً[1] عنيداً[2].

ذكر ولاية قُتَيْبَة خُراسان وما كان منه هذه السنة

وفي هذه السنة قدِم قُتَيْبة خُراسان أميراً عليها للحجّاج، فقدِمها والمفضَل يعرض الجُند للغزاة، فخطب قُتيبة الناس وحثّهم على الجهاد، ثمّ عرضهم وسار، وجعل بمَرو على حربها إياس بن عبد الله بن عَمْرو، وعلى الخراج عثمان السعيديَّ.

فلمّا كان بالطّالقان أتاه دهاقين بلْخ وساروا معه، فقطع النهر، فتلقّاه ملكُ الصَّغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب، ودعاه إلى بلاده، فمضى معه، فسلّمها إليه لأنّ ملك أخرون وشُومان كان يسيء جواره.

ثمّ سار قُتيبة منها إلى أخْرون وشُومان، وهما من طخارستان، فصالحه ملكهما على فدية أدّاها إليه، فقبِلها قتيبة، ثمّ انصرف إلى مَرْو، واستخلف على الجُنْد أخاه صالح بن مسلم، ففتح صالح بعد رجوعُ قُتيبة كاشان وأورشت[3]، وهي من فَرْغانة، وفتح أخسيكت[4]، وهي مدينة فرغانة القديمة، وكان معه نصر بن سَيّار، فأبلى يومئذ بلاءً حسناً[5].

وقيل: إنّ قُتيبة قدِم خُراسانَ سنة خمسٍ وثمانين فعرض الجُند، فغزا أَخْرون وشُومان، ثمّ رجع إلى مَرو. وقيل: إنّه أقام السنة، ولم يقطع النهر لسبب بلْخ، فإنّ بعضها كان منتقضاً عليه فحاربهم؛ وكان ممّن سبَى امرأة بَرْمك أبي خالد بن برمك، وكان برمك على النّوبهار، فصارت لعبد الله بن مسلم أخي قتيبة، فوقع عليها. ثمّ إنّ أهل بلخ صالحوه، وأمر قتيبة بردّ السبْي، فقالت امرأة برمك لعبد الله: إنّي قد علقتُ منك، وحضرت عبدَ الله بن مسلم الوفاةُ، فأوصى أن يُلحق به ما في بطنها، ورُدّت إلى برمك. فذُكر أنّ ولد عبد الله بن مسلم جاؤوا أيّام المهديّ حين قدِم الرّيّ إلى خالد فادّعوه. فقال لهم مسلم بن قُتيبة: إنه لا بدّ لكم إن استلحقتموه ففعل [من] أن تزوّجوه. فتركوه. وكان برمك طبيباً[6].

---

(١) في (ب): «خساراً».
(٢) الطبري ٦/٦٢٣ العقد الفريد ٤/٩١، نهاية الأرب ٢١/ ٢٨١، ٢٨٢، البداية والنهاية ٩/ ٧٠.
(٣) في (ب): «أورشيت».
(٤) في طبعة صادر ٤/٢٢٤ «أخشيكت»، والتصحيح من: معجم البلدان ١/ ١٢١.
(٥) الطبري ٦/٤٢٤ - ٤٢٦، نهاية الأرب ٢١/٢٨٣، ٢٨٤.
(٦) الطبري ٦/٤٢٥، ٤٢٦.

ذكر عدّة حوادث

وفي هـذه السنة غـزا مسلمةُ بن عبـد الملك أرض الروم[١].

وفيها حبس الحجّاجُ يزيد بن المهلّب، وعزل حبيبَ بن المهلّب عن كَرمان، وعبدَ الملك عن شُرطته[٢].

وحجّ بالناس هشام بن إسماعيل المخزوميُّ[٣].

وكان الأمير على العراق والمشرق كلّه الحجّاج بن يوسف[٤].

[الوَفَيات]

وفي أيّام عبد الملك مات أُسيَدْ بن ظُهَير الأنصاريُّ[٥].

(أُسيد بضمّ الهمزة. وظُهَير بضم الظاء المعجمة).

وفيهـا مات عمـر بن أبي سَلِمة[٦]، وهـو ابن أمّ سَلِمة.

وفي أيّامه مات علقمة بن وقّاص[٧] الليثيُّ، وله صُحْبة.

وفي هذه السنة مات قَبيصة بن ذُؤيب[٨] الخُزاعيُّ، ووُلد أوّل سنة من الهجرة، وحنكه النبيّ ﷺ، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان، وكان فقيهاً.

وفي أيّامه مات سعد بن زيد[٩] الأنصاريُّ، ووُلد على عهد النبيّ ﷺ.

---

(١) تـاريخ خليفـة ٢٩٢، تاريـخ اليعقوبي ٢/٢٩١، الـطبري ٦/٤٢٦، تـاريـخ العـظيمي ١٩٩، نهـايـة الأرب ٢١/٣١١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ) ص ٢٦.

(٢) الطبري ٦/٤٢٦، نهاية الأرب ٢١/٣١٣.

(٣) المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١، الطبري ٦/٤٢٦، مـروج الذهب ٤/٣٩٩، تـاريخ العـظيمي ١٩٥، نهاية الأرب ٢١/٣١٤.

(٤) الطبري ٦/٤٢٦.

(٥) أنظر عن (أسيد بن ظهير) في:
تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ) ص ٧٤ رقم ٥، وفيه مصادر ترجمته، وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ.

(٦) أنظر عن (عمر بن بن أبي سلمـة) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ١٥٩ رقم ١١٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) أنظر عن (علقمة بن وقاص) في:
تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ). ص ٤٨٦ رقم ٢١٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) أنظر عن (قبيصة بن ذُؤيب) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ١٧٠ رقم ١٢٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) أنظر عن (سعد بن زيد) في:
أسد الغابة ٢/٢٨٠.

وفي أيّامه مات سَلِمة ابن أمّ سَلِمة[1] ربيب النبيّ، ﷺ.

وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي أَوْفَى[2] الأَسْلميُّ، وقيل سنة سبع وثمانين، شهد الحُدَيبية وخَيبر.

وفي آخر أيّامه مات الوليد بن عُبادة[3] بن الصامت الأنصاريُّ، ووُلد في آخر زمن النبيّ، ﷺ.

وفي هذه السنة توفّي لاحق بن حُمَيْد[4] أبو مِجْلز[5] السَّدُوسيُّ.

---

(١) أنظر عن (سلمة ابن أم سلمة) في:
تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ). ص ٤٠٩ رقم ١٧٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (عبد الله بن أبي أوفى) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ) ص ٩٨ رقم ٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (الوليد بن عبادة) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢١٩ رقم ١٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (لاحق بن حميد) في:
تاريخ الإسلام (١٠١ ـ ١٢٠ هـ) ص ٢٩٩ رقم ٣٠١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في الأوربية: «مجاز».

٨٧
ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ذكر إمارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة

وفي هذه السنة عزل الوليدُ هشامَ بن إسماعيل عن المدينة لسبع ليالٍ خَلَوْن من ربيع الأوّل، وكانت إمارته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه، وولّى عمر بن عبد العزيز المدينة، فقدمها والياً في ربيع الأول، وثَقَله على ثلاثين بعيراً، فنزل دار مروان، وجعل يدخل عليه الناس فيسلّمون[١]، فلمّا صلّى الظهر دعا عشرةً من الفقهاء الذين في المدينة: عُرْوَة بن الزّبَير، وأبا بكر بن سليمان بن أبي خَيْثَمة، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمّد، وسالم بن عبد الله بن عَمرو، وعبد الله بن عُبيد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فدخلوا عليه، فقال لهم: إنّما دعوتكم لأمر تؤجَرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحقّ، لا أريد أن أقطع أمراً إلاّ برأيكم أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدّى، أو بلغكم عن عاملٍ لي ظُلامة فأحرّج الله على مَنْ بلغه ذلك إلا بلّغني. فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا.

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن إسماعيل للناس، وكان سيءَ الرأي فيه، وكان هشام بن إسماعيل يسيء جوار عليّ بن الحسين، فخافه هشام، فتقدّم عليّ بن الحسين إلى خاصّته ألاّ يعرض له أحد بكلمة، ومرّ به عليّ وقد وقف للناس ولم يعرض له، فناداه هشام: ﴿الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢].

ذكر صلح قُتيبة ونِيْزك

ولمّا صالح قُتيبة ملك شُومان كتب إلى نِيزكَ طَرْخان صاحب باذَغِيس في إطلاق مَنْ عنده من أُسراء المسلمين، وكتب إليه يتهدّده، فخافه نيزك فأطلق الأسرى وبعث بهم

---

(١) في الأوربية: فسلّموا.

(٢) سورة الأنعام ٦، الآية ١٢٤. والخبر في تاريخ الطبري ٦/٤٢٧، ٤٢٨.

إليه، وكتب إليهِ قتيبـة مع سُلَيم النـاصح مـولى عُبيد الله بن أبي بَكـرة يدعـوه إلى الصلح وإلى أن يؤمّنه، وكتب إليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليـه ليغزونّـه ثمّ ليطلبنّـه حيث كان، حتّى يظفر به أو يموت دونه.

فقدِم سُليم بالكتاب، فقال له نيزك، وكان يستنصحه: يا سُليم ما أظنّ عند صاحبك خيراً، كتب إليّ كتاباً لا يُكْتَبَ إلى مثلي. فقال لِـه سُليم: إنّه رجـل شديـد في سلطانه، سهلٌ إذا سُوهـل، صعبٌ إذا عُوسـر، فلا يمنعـك منه غِلْظة كتـابه إليـك، فأحسن حـالك عنده. فقام نيزك مع سُليم، فصالحه أهلُ[1] باذَغِيس على أن لا يدخلها قُتيبة[2].

ذكر غزو الروم

قيـل: وفي هذه السنـة غـزا مَسلَمَـة بن عبـد الملك الـرومَ فقتـل منهم عـدداً كثيـراً بسُـوسَنة من نـاحية المَصيِّصـة، وفتح حصـوناً[3]. وقيـل: إنّ الذي غـزا في هـذه السنـة هشـام بن عبد الملك، ففتـح حصن بولَق، وحصن الأخـرم، وحصن بولس وقمقم، وقتـل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل، وسبَى ذرّيّتهم ونساءهم[4].

ذكر غزو قُتَيبة بِيكَنْد

ولمّا صالح قُتيبة نِيـزك أقام إلى وقت الغـزو، فغزا بِيكَنْـد سنة سبْـعٍ وثمانين، وهي أدنَى مدائن بُخارى إلى النهر، فلمّا نـزل بهم استنصروا الصُّغْـد، واستمدّوا مَنْ حـولهم، فأَتَوْهم في جمْعٍ كثير، وأخذوا الطُّرُق على قُتَيبة، فلم يُنْفَذ لقُتيبـة رسول، ولم يصـل إليه خبر شهرَيْن، وأبطأ خبره على الحجّاج، فأشفق على الجُنْد، فأمر الناس بالدعـاء لهم في المساجد، وهم يقتتلون كلّ يوم.

وكان لقُتيبة عين من العجم يقـال له تنـدر[5]، فأعـطاه أهل بُخـارى مالاً ليـردّ عنهم قُتيبة، فأتاه فقال له سرّاً من الناس: إنّ الحجّاج قد عُزل، وقـد أتَى عامـل إلى خُراسـان، فلو رجعتَ بالناسِ كان أصلح. فأمر به فقُتل خوفاً من أن يظهـر الخبر فيهلك النـاس، ثمّ

---

(١) في الأوربية: لأهل.

(٢) الطبري ٦/٤٢٨، ٤٢٩، نهاية الأرب ٢١/٢٨٤، والخبر باختصار في: تاريخ خليفة ٣٠٠.

(٣) الطبري ٦/٤٢٩، تاريخ العظيمي ١٩٥، البداية والنهاية ٩/٧١، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٩، وفي تـاريخ خليفـة ٣٠١: «وفيها غـزا مسلمة بن عبـد الملك فافتتح فيعم (قمقم) وبحيـرة الفرسـان، وبلغ عسكره قلوذيماثلس، فقتل وسبى».

(٤)) الطبري ٦/٤٢٩، تاريخ خليفة ٣٠١ وفيه أن صاحب الغزوة إلى قمقم هو مسلمة.

(٥)) الطبري ٦/٤٣٠ «تنذر».

أمر أصحابه بالجدّ في القتال، فقاتلهم قتالاً شديداً، فانهزم الكفّار يريدون المدينة، وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً كيف شاؤوا، وتحصّن مَنْ دخل المدينة بها، فوضع قُتيبة الفَعَلة ليهدم سورها، فسألوه الصلح، فصالحهم واستعمل عليهم عاملاً، وارتحل عنهم يريد الرجوع، فلمّا سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح، وقتلوا العامل ومَنْ معه، فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط، فسألوه الصلح، فلم يقبل، ودخلها عَنوةً، وقتل مَنْ كان بها من المقاتلة.

وكان فيمَنْ أُخذوا في المدينة رجل أعور هو الذي استجاش التُّرك على المسلمين، فقال لقتيبة: أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حريرة، قيمتها ألف ألف. فاستشار قُتيبة الناس فقالوا: هذه زيادة في الغنائم وما عسى أن يبلغ كيد هذا! قال: لا والله لا يروِّع بك مسلم أبداً! فأمر به فقُتل.

وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضّة ما لا يُحْصَى، ولا أصابوا بخُراسان مثله، فقوي المسلمُون، ووليَ قَسْمَ الغنائم عبدُ الله بن وألان العَدَويُّ أحد بني مِلْكان، وكان قُتيبة يسميّه الأمين ابن الأمين، فإنّه كان أميناً.

وكان من حديث أمانة أبيه أنّ مسلماً الباهليّ أبا قُتيبة قال لوألان: إنّ عندي مالاً أُحبّ أن أستودعكه، ولا يعلم به أحد. قال وألان: ابعثْ به مع رجل تثق به إلى موضع كذا وكذا، ومُرْه إذا رأى في ذلك الموضع رجلاً أن يضع المال وينصرف. فجعل مسلم المال في خرجٍ وحمله على بغل، وقال لمولى له؛ انطلقْ بهذا المال إلى موضع كذا وكذا، فإذا رأيت رجلاً جالساً فخلّ البغل وانصرف. ففعل المولى ما أمره وأتى المكان، وكان وألان قد سبقه إليه وانتظر، وأبطأ عليه رسول مسلم، فظنّ أنّه قد بدا له فانصرف، وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك المكان، وجاء مولى مسلم فرآه، فسلّم إليه البغل ورجع، فأخذ التغلبيّ البغل والمال، ورجع إلى منزله، وظنّ مسلم أنّ المال قد أخذه وألان، فلم يسأله حتى احتاج إليه، فلقِيه فقال: ما لي! فقال: ما قبضتُ شيئاً، ولا لك عندي مال، فكان مسلم يشكوه إلى الناس، فشكاه يوماً والتغلبيُّ جالس، فخلا به التغلبيّ، وسأله عن المال فأخبره، فانطلق به إلى منزله، وسلّم المال إليه وأخبره الخبر، فكان مسلم يأتي الناس والقبائل، فيذكر لهم عُذر وألان ويُخْبرهم الخبر.

قال: فلمّا فرغ قُتيبة من فتح بِيكَند رجع إلى مَرْو[1].

---

(١) الطبري ٤٢٩/٦ ـ ٤٣٣، تاريخ بخارى للنرشخي ٦٩، نهاية الأرب ٢٨٤/٢١، ٢٨٥، والخبر باختصار شديد في: تاريخ خليفة ٣٠٠، وتاريخ اليعقوبي ٢٨٥/٢، ٢٨٦، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٧، البداية والنهاية ٧١/٩، ٧٢، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٢٢١/٧.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز[1]، وهو أمير المدينـة.

وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عَمرو بن حَزم. وكان على العراق وخُراسان الحجّاج، وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجرّاح بن عبد الله الحَكَميُّ، وعلى قضائها عبد الله بن أُذَيْنة، ، وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الأشعريُّ[2].

[الوفيات]

وفيها مات عُبيد الله بن عباس[3] بالمدينـة، وقيل بـاليمن، وكان أصغـر من عبد الله بسنة.

وفيها مات مُطَرِّف بن عبد الله[4] بن الشِّخِّير في طاعون الجارف بالبصرة.

وفيها مات المِقْدَام بن مَعْدي[5] كرِب الكِنْديُّ، له صُحْبة، وقيل مات سنة إحدى وتسعين.

وفيها مات أُمَيّة بن عبد الله بن أَسيد[6].

(أسيد: بفتح الهمـزة. الشِّخِّير: بكسـر الشين والخاء المعجمتين، وتشـديد الخـاء وبعدها ياء).

---

(١) تاريخ خليفة ٣٠١، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعوقي ٢٩١/٢، الطبري ٤٣٣/٦، مروج الذهب ٣٩٩/٤، تاريخ العظيمي ١٩٥، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ)، ص ٢٩، البداية والنهاية ٧٢/٩، نهاية الأرب ٣١٥/٢١.

(٢) الطبري ٤٣٣/٦.

(٣) انظر عن (عبيد الله بن عباس) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ١٤٦ رقم ١٠٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (مطرّف بن عبد الله) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٧٩ رقم ٤٠٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر (المقدام بن معدي كرب) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٠٣ رقم ١٤٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) أنظر عن (أمية بن عبد الله) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٢ رقم ٦ وفيه مصادر ترجمته.

٨٨
ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين

ذكر فتح طُوانة من بلد الروم

في هذه السنة غزا مَسْلمةُ بن عبد الملك، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم، وكان الوليد قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يُعَرِّفه أن الخَزَر وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا[١] على قصد بلاده، ففعل ذلك. وقطع الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية، وأكثر وأعظم جهازه، وساروا نحو الجزيرة، ثمّ عطفوا منها إلى بلد الروم، فاقتتلوا هم والروم، فانهزم الروم ثمّ رجعوا فانهزم المسلمون، فبقي العبّاس في نفرٍ، منهم ابن مُحَيْرِيز[٢] الجُمَحيُّ، فقال له العبّاس: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنّة؟ فقال ابن محيريز[٢]: نادِهِم يأتوك. فنادى العبّاس: يا أهل القرآن! فأقبلوا جميعاً، فهزم الله الروم حتّى دخلوا طُوانة، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جُمادَى الأولى[٣].

قيل: وفيها وُلد الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٤].

ذكر عمارة مسجد النبيّ، ﷺ

قيل: وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأوّل يأمره بإدخال حُجَر أزواج النبيّ، ﷺ، في مسجد رسول الله، ﷺ، وأن يشتري ما في نواحيه[٥]

---

(١) في الأوربية: أجمع.

(٢) في الأوربية: محيزيز.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٣، فتوح البلدان ١/١٩٠ و ١٩١، تاريخ خليفة ٣٠٢، الفتوح لابن أعثم ٧/١٨٢، ١٨٣، تاريخ العظيمي ١٩٥، ١٩٦، المنتخب في تاريخ المنبجي ٨٠، ٨١، نهاية الأرب ٢١/٣١١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٠ و ٣١، البداية والنهاية ٩/٧٤.

(٤) الطبري ٦/٤٣٤.

(٥) في الأوربية: «نوائحه».

حتّى يكـون مائتَيْ ذراع في مـائتَيْ ذراع، ويقول لـه: قـدِّم القِبلة إن قـدرت، وأنت تقـدر لمكان أخوالـك، وإنّهم لا يخالفـونك، فمَنْ أبى منهم فقـوّموا مُلكـه قيمة عـدْلٍ، واهدمْ عليهم، وادفع الأثْمان إليهم، فإنّ لك في عمر وعثمان أُسْوة.

فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب، فأجـابوه إلى الثمن، فـأعطاهم إيّـاه، وأخذوا في هدْم بيوت أزواج رسول الله ﷺ، وبنى المسجد، وقـدِم عليهم الفَعَلة من الشام، أرسلهم الوليد. وبعث الوليد إلى ملك الروم يُعْلمه أنّه قد هدم مسجد النبيّ ﷺ، ليعمـره، فبعث إليه ملك الروم مـائة ألف مثقـال ذهب، ومائـة عامـل، وبعث إليه من الفسيفسـاء بأربعين جملاً، فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيـز، وحضر عمـر ومعه النـاس، فوضعـوا أساسه، وابتدأوا بعمارته[١].

قيل: وفي هذه السنة غزا مَسْلَمة بن عبد الملك الروم أيضاً، ففتـح ثلاثـة حصون: أحدها حصن قسطنطين، وغزالة، وحصن الأخـرم، وقتل من المستعـربة نحـواً من ألف، وأخذ الأموال[٢].

ذكر غزو نُومُشَكَث[٣] ورامِثنة[٤]

قيـل: وفي هذه السنـة غـزا قُتَيْبـةُ بن مسلم نُـومُشَكَث، واستخلف على مَـرْو أخـاه يسـار بن مسلم، فتلقّاه أهلهـا فصالحهم، ثمّ سـار إلى رامِثنة، فصـالحه أهلهـا وانصـرف عنهم.

وزحف إليـه التُّـرك ومعهم الصُّغْـد وأهـلُ فَـرغـانـة في مـائتَيْ ألف، وملكهم كـورمغانـون[٥] ابن أخت ملك الصّين، فاعتـرضوا المسلمين، فلحِقـوا عبـد الـرحمن بن

---

(١) الطبري ٦/٤٣٥، ٤٣٦، نهاية الأرب ٢١/٣١٤، ٣١٥، البداية والنهاية ٩/٧٤، ٧٥، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤، ومروج الذهب ٣/١٦٦، والعيون والحدائق لمؤرّخ مجهول والأرجح بأنه من الشمال الإفريقي - ج ٣/٤، ٥، وتاريخ العظيمي ١٩٥، والأخبار الطوال ٣٢٦، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ)، ص ٢٧ و٣١، ٣٢، وتاريخ الخلفاء ٢٢٤.

(٢) الطبري ٦/٤٣٦، تاريخ خليفـة ٣٠٢، تاريـخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٣٠، ٣١، وقـد تقدّم نحـو هذا الخبر في حوادث السنة الماضية، فليُراجع.

(٣) في تاريخ خليفة ٣٠١: «تومُشْكث».

(٤) الطبري: «راميثنة»، وفي معجم البلدان ٣/١٨ «راميثن» بكسر الميم وسكون الياء، وثاء مثلثة، وآخـره نون. قرية ببخارى، وفي تاريخ بخارى ٧١ «رامتين» وفي تاريخ خليفة ٣٠١ «أرمثنة».

(٥) في طبعة صادر ٤/٥٣٣ «كور نعابون»، وفي (ب) «كور خانون»، وفي نسخة مكتبة بودليان: «كور نعانـون»، والمثبت يتفق مع: تاريخ بخارى، والطبري، وفي الفتوح لابن أعثم ٧/٢٢٣، «كور بغانون».

مسلم أخا قُتيبة وهو على الساقة، وبينه وبين قُتَيْبة وأوائل العسكر ميل، فلمّا قربوا منه أرسل إلى قُتيبة بخبره، وأدركه التُّرك فقاتلوه، ورجع قتيبة فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتل التُّرك، وقد كاد[1] الترك يظهرون، فلمّا رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم، وقاتلوا إلى الظُّهر، وأبلى يومئذٍ نِيْزك، وهو مع قُتيبة، فانهزم التُّرك، ورجع قُتيبة فقطع النهر عند تِرْمِذ وأتى مَرْو[2].

ذكر ما عمل الوليد من المعروف

وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأمره أن يعمل الفوّارة بالمدينة، فعملها وأجرى ماءها، فلمّا حجّ الوليد ورآها أعجبته، فأمر لها بقُوّام يقومون عليها، وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق، وعمل الآبار، ومنع المجذّمين من الخروج على الناس، وأجرى لهم الأرزاق[3].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز، ووصل جماعةً من قريش، وساق معه بُدْناً وأحرم من ذي الحُلَيْفَة، فلمّا كان بالتّنْعيم أُخبر أنّ مكّة قليلة الماء، وأنّهم يخافون على الحاج العطش، فقال عمر: تعالوا ندعُ الله تعالى، فدعا ودعا معه الناس، فما وصلوا البيت إلّا مع المطر وسال الوادي، فخاف أهل مكّة من شدّته، ومُطِرت عَرَفة ومكّة، وكثُر الخصْب[4].

وقيل: إنّما حجّ هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك[5].

وكان العُمّال مَن تقدّم ذكرهم[6].

---

(١) في الأوربية: «كانوا».

(٢) الطبري ٦/٤٣٦، ٤٣٧، تاريخ بخارى للنرشخي ٧١، ٧٢، الفتوح لابن أعثم ٧/٢٢٣، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٦.

(٣) الطبري ٦/٤٣٧.

(٤) الطبري ٦/٤٣٧، ٤٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١، المحبّر ٢٥، نهاية الأرب ٢١، ٣١٥، البداية والنهاية ٩/٧٥.

(٥) تاريخ خليفة ٣٠٢، الطبري ٦/٤٣٨، المحبّر ٢٥/٢٦، نهاية الأرب ٢١/٣١٥، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠ هـ) ص ٣١.
وفي مروج الذهب ٤/٣٩٩، وتاريخ العظيمي ١٩٦: الوليد بن عبد الملك.

(٦) الطبري ٦/٤٣٨.

[الوفيات]

وفيها مات سَهْل بن سعد[1] الساعديُّ، وقيل: بل سنة إحدى وتسعين، وله مائة سنة.

وعبد الله بن بُسْر[2] المازنيُّ من مازن بن منصور، وكان ممّن صلّى القِبلتَين، وهو آخر مَن مات بالشام من الصحابة.

(بُسْر بضمّ الباء الموحّدة، وبالسين المهملة).

---

(١) أنظر عن (سهل بن سعد) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٨٣ رقم ٢٨٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (عبد الله بن بسر) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٩٩ رقم ٣٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٩
ثم دخلت سنة تسعٍ وثمانين

ذكر غزو الروم

قيل: في هذه السنة غزا مَسْلمة بن عبد الملك، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك الرومَ، فافتتح مَسْلمة حصن عَمّورية[1]، وفتح العبّاسُ أذرولية[2]، ولقي من الروم جمعاً فهزمهم.

وقيل: إنّ مسلمة قصد عمّورية، فلقي بها جمعاً من الروم كثيراً، فهزمهم وافتتح هِرَقْلة وقمونية[3]، وغزا العبّاسُ الصائفة من ناحية البَذَنْدُون[4].

ذكر غزو قُتيبة بخارى

في هذه السنة أتى قُتيبةَ كتابُ الحجّاج يأمره بقصد وَرْدان خُذَاه، فعبر النهرَ من زَمّ، فلقي الصُّغد وأهل كِشّ ونَسَف في طريق المفازة فقاتلوه، فظفر بهم، ومضى إلى بخارى، فنزل خَرقانة السفلى عن يمين وَرْدان، فلقَوْه في جمعٍ كثير، فقاتلهم يومَين وليلتَين فظفر بهم. وغزا وردان خذاه ملكَ بخارى، فلم يظفر بشيء، فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجّاج بخبره، فكتب إليه الحجّاج أن صَوِّرْها [لي]، فبعث إليه بصورتها، فكتب إليه الحجّاج أن تُبْ إلى الله، جلّ ثناؤه، ممّا كان منك، وأتها من مكان كذا وكذا، وكتب إليه: أنْ كِسْ بكسّ، وانسِف نَسَف، ورِدْ وَرْدان، وإيّاك والتّحويط، ودعني من ثنيات[5] الطريق.

---

(١) في (ب): «سورنه»، وانظر: الطبري ٦/٤٣٩ «سوريه».

(٢) في (ر): «أرذوليه»، وفي تاريخ اليعقوبي «أدرولية».

(٣) الطبري «قمودية»، ونهاية الأرب: «قمولية».

(٤) الطبري ٦/٤٣٩ وفيه «البُذَنْدون»، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢، والفتوح لابن أعثم ٧/١٨٤ ـ ١٩٦، وتاريخ العظيمي ١٩٦، وفتوح البلدان ١٩٨ رقم ٤٣٨، ونهاية الأرب ٢١/٣١٢، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ) ص ٣٥.

(٥) في نسخة مكتبة بودليان «بنيات»، وكذا في: تاريخ الطبري ٦/٤٤٠، ونهاية الأرب ٢١/٢٨٧، والبداية والنهاية ٩/٧٦.

وقيل: إنّما كان فَتْح بخارى سنة تسعين، على ما نذكره.

ذكر ولاية خالد بن عبد الله القَسْريّ مكّة

قيل: وفي هذه السنة وليَ خالد بن عبد الله القسريُّ مكّة، فخطب أهلها فقال: أيّها الناس أيّهما أعظم، خليفة الرجل على أهله، أو رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أنّ إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أُجاجاً، واستسقاه الخليفة فسقاه عَذْباً فراتاً، يعني بالملح زمزم، وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد بثنيّة طُوًى في ثنيّة الحَجون، وكان ماؤها عذباً، وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض إلى جنب زمزم، ليُعرف فضله على زمزم، فغارت البئر وذهب ماؤها، فلا يُدْرى أين هو اليوم[1].

وقيل: ولِيها سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة أربعٍ وتسعين، وقد ذكرناه هناك.

ذكر قتل ذاهر ملك السند

في هذه السنة قتل محمّدُ بن القاسم بن محمّد بن الحَكَم بن أبي عقيل الثقفيُّ، - يجتمع هو والحجّاج في الحَكَم - ذاهرَ بن[2] صعصعة ملك السند، ومَلَكَ بلاده، وكان الحجّاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيّر معه ستّة آلاف مقاتل، وجهّزه بكلّ ما يحتاج إليه حتّى المسالّ والإبر والخيوط، فسار محمّد إلى مُكران، فأقام بها أيّاماً، ثمّ أتى قَنّزْبُور[3] ففتحها، ثمّ سار إلى أرْمائيل[4] ففتحها، ثمّ سار إلى الدَّيْبُل فقدِمها يوم جمعة، ووافَتْه سفنٌ كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة، فخندق حين نزل الدّيبل، وأنزل الناس منازلهم، ونصب منجنيقاً يقال له العروس، كان يمدّ به خمسمائة رجل. وكان بالدّيبل بُدّ[5] عظيم عليه دَقَل عظيم، وعلى الدَّقل راية حمراء، إذا هبّت الريح أطافت بالمدينة،

---

(١) الطبري ٦/٤٤٠، تاريخ خليفة ٣٠٢، نهاية الأرب ٢١/٣١٦، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠ هـ). ص ٣٥، البداية والنهاية ٩/٧٦.

(٢) في نهاية الأرب ٢١/٣٠٤ «داهر».

(٣) في (آ) «فيربور»، وفي (ب) و (ر): «قيرنور»، وفي نسخة بودليان «فبريور»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان، ولم يذكرها ياقوت في معجمه.

(٤) في معجم البلدان ١/١٥٩ «أرْمَئيل»: بالفتح ثم السكون، وفتح الميم، وهمزة مكسورة، وياء خالصة ساكنة، ولام، مدينة كبيرة بين مُكران والدَّيْبُل من أرض السند.

(٥) البُدّ: بالضم، قال البلاذري: «والبُدّ فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم أو أصنام يُشهر بها، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً. وكل شيء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بُدّ. والصنم بُدُّ أيضاً. (٥٣٥) وفي (ب): «كل».

وكانت تدور، والبُدّ صنم في بناء عظيم، تحت منارة عظيمة مرتفعة، وفي رأس المنارة هذا الدَّقَل، وكلُّ ما يُعْبَد فهو عندهم بدّ.

فحصرها وطال حصارها، فرمى الدَّقَل بحجر العروس فكسره، فتطيّر الكفّار بذلك، ثمّ إنّ محمّداً أتى وناهضهم وقد خرجوا إليه، فهزمهم حتّى ردّهم إلى البلد، وأمر بالسلاليم فنُصبت، وصعِد عليها الرجال، وكان أوّلهم صعوداً رجل من مُراد من أهل الكوفة، ففُتِحت عَنوةً، وقتل فيها ثلاثة أيّام، وهرب عامل ذاهر عنها، وأنزلها محمّد أربعةَ آلافٍ من المسلمين، وبنى جامعها، وسار عنها إلى البِيرون[1]، وكان أهلها بعثوا إلى الحجّاج فصالحوه، فلقوا محمّداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم، وسار عنها وجعل لا يمرّ بمدينة إلّا فتحها حتّى عبر نهراً دون مهران، فأتاه أهل سربيدس[2] فصالحوه، ووظّف عليهم الخراج وسار عنهم إلى سهبان[3] ففتحها، ثمّ سار إلى نهر مهران فنزل في وسطه.

وبلغ خبره ذاهرَ، فاستعدّ لمحاربته، وبعث جيشاً إلى سَدُ وستان، فطلب أهلها الأمان والصلح، فآمنهم ووظّف عليهم الخراج، ثمّ عبر محمّد مهران ممّا يلي بلاد راسل[4] الملك على جسر عقده، وذاهَر مُستخفّ به، فلقِيه محمّد والمسلمون وهو على فِيل وحوله الفِيَلَة، ومعه التكاكرة[5]، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمَع بمثله، وترجّل ذاهر فقُتل عند المساء، ثمّ انهزم الكفّار، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وقال قاتله:

الخيل تشهدُ يومَ ذاهرَ والقَنا ... ومحمّدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَحمّدِ
أنّي فرَجتُ الجَمعَ غير معرّدٍ ... حتّى علَوْتُ عَظيمَهم بمُهنّدِ
فتركتُه تحتَ العَجاجِ مجَنْدَلاً[6] ... متَعَفِّرَ الخَدّينِ غيرَ موَسَّدِ[7]

فلما قُتل ذاهر[8] غلب محمّد على بلاد السند، وفتح مدينة راوَر[9] عَنْوةً، وكان بها

---

(١) في (ر): «البيروز»، و(آ): «البيرود»، و(ب): «النيروز»، وفي نسخة بودليان «السرور».

(٢) في (ب): «سرندين»، و(ر) و(آ): «سرندس»، ونسخة بودليان «سرندي»، وفي فتوح البلدان ٥٣٦ «سربيدس»، والمثبت يتفق مع معجم أماكن الفتوح الذي صنعه الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ص ٧٣٣.

(٣) في (ب) ونسخة بودليان: «سهبار»، و(آ) و(ر): «شهبان».

(٤) في فتوح البلدان: «بلاد راسل ملك قَصَّة من الهند» (٥٣٦).

(٥) في نهاية الأرب ٢١/٣٠٥ «الذكاكرة».

(٦) في الفتوح، ونهاية الأرب «داهر».

(٧) في (ب) وفتوح البلدان «مجدلاً».

(٨) فتوح البلدان ٥٣٧، نهاية الأرب ٢١/٣٠٦.

(٩) في (ب): «زاور»، و(آ): «رواد»، و(ر): «دوار»، والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٣/١٩، بفتح الواو، مدينة كبيرة بالسند.

امرأة لذاهر، فخافت أن تُؤخذ، فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها.

ثمّ سار إلى برهمناباذ العتيقة، وهي على فرسخين من المنصورة، ولم تكن المنصورة يومئذ، كان موضعها غَيْضة، وكان المنهزمون من الكفّار بها، فقاتلوه ففتحها محمّد عَنوةً، وقتل بها بشراً كثيراً وخربت.

وسار يريد الرور وبغرور[١]، فلقِيه أهل ساوَنْدَرى[٢] فطلبوا الأمان، فأعطاهم إيّاه، واشترط عليهم ضيافةَ المسلمين، ثمّ أسلم أهلها بعد ذلك. ثمّ تقدّم إلى بسمد[٣] وصالح أهلَها، ووصل إلى الرُّور، وهي من مدائن السند على جبل، فحصرهم شهوراً فصالحوه، وسار إلى السّكّة ففتحها، ثمّ قطع نهر بَيَاس إلى المُلْتان، فقاتله أهلها وانهزموا، فحصرهم محمّد، فجاءه إنسان ودلّه على قَطْع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه، فعطشوا فألقوا بأيديهم ونزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّيّة وسَدَنة البُدّ، وهم ستّة آلاف، وأصابوا ذَهَباً كثيراً، فجُمع في بيتٍ طوله عشرة أذرُع، وعرضه ثمانية أذرع، يُلقى إليه من كُوّة في وسطه، فسُمّيت المُلتان: فَرْج بيت الذّهب، والفَرْج الثغر. وكان بُدّ المُلْتان تُهْدَى إليه الأموال، ويُحَجّ من البلاد، ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده، ويزعمون أنّ صنمه هو أيّوب النبيّ ﷺ.

وعظُمت فتوحُه، ونظر الحجّاج في النفقة في ذلك الثغر، فكانت ستّين ألف ألف درهم، ونظر في الذي حُمل، فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، فقال: ربحنا ستّين ألفاً، وأدركنا ثأرنا ورأس ذاهر[٤].

ثمّ مات الحجّاج، ونذكر أمر محمّد عند موت الحجّاج إن شاء الله تعالى.

ذكر استعمال موسى بن نُصَير على إفريقية

في هذه السنة استعمل الوليدُ بن عبد الملك موسى بنَ نُصَيْر على إفريقية، وكان نُصَير والده على حرس معاوية، فلمّا سار معاوية إلى صفّين لم يسرْ معه، فقال له: ما يمنعك من المسير معي إلى قتال عليّ ويدي عندك معروفة؟ فقال: لا أُشْرِكُكَ بكُفْر من هو أَوْلى بالشكر منك، وهو الله، عزّ وجلّ. فسكت عنه معاوية.

فوصل موسى إلى إفريقية وبها صالح الذي استخلفه حسّان على إفريقية، وكان

---

(١) في (ر): «تغرور».

(٢) في (آ) و(ر): «ساوندي».

(٣) في نسخة بودليان: «سمد».

(٤) الخبر في: فتوح البلدان ٥٣٤ ـ ٥٣٨، ونهاية الأرب ٢١/٣٠٤ ـ ٣٠٧.

البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسّان، فلمّا وصل موسى عزل صالحاً، وبلغه أنّ بأطراف البلاد قوماً خارجين عن الطّاعة، فوجّه إليهم ابنه عبد الله، فقاتلهم فظفر بهم، وسبَى منهم ألف رأس[1]، وسيّره في البحر إلى جزيرة مَيورقة، فنهبها وغنِم منها ما لا يُحْصَى وعاد سالماً، فوجّه ابنَه هارون[2] إلى طائفة أخرى، فظفر بهم وسبَى منهم نحو ذلك، وتوجّه هو بنفسه إلى طائفةٍ أخرى، فغنِم نحو ذلك، فبلغ الخُمْس ستّين ألف رأس من السبي، ولم يذكر أحدٌ أنه سمع بسبيٍ أعظمَ من هذا.

ثمّ إنّ إفريقية قحطت واشتدّ بها الغلاء، فاستسقى بالناس، وخطبهم ولم يذكر الوليد، وقيل له في ذلك، فقال: هذا مقام لا يُدعَى فيه لأحد ولا يُذْكر إلّا الله، عزّ وجلّ، فسقى الناس ورخصت الأسعار. ثمّ خرج غازياً إلى طَنْجة يريد مَن بقي من البربر، وقد هربوا خوفاً منه، فتبِعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً حتّى بلغ السوس الأدنَى لا يدافعه أحد، فاستأمن البربر إليه وأطاعوه، واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد، ويقال: إنه صَدَفيٌّ. وجعل معه جيشاً كثيفاً جُلّهم من البربر، وجعل معهم مَنْ يُعَلّمهم القرآن والفرائض، وعاد إلى إفريقية. فمرّ بقلعة مجّانة، فتحصّن أهلها منه، وترك عليها مَنْ يحاصرها مع بِشْر بن فلان[3]، ففتحها، فسُمّيت قلعة بِشْر[4] إلى الآن، وحينئذ لم يبقَ له

---

(١) في نهاية الأرب ٢٤/٣٩ «فأتى بمائة ألف رأس».

(٢) في نهاية الأرب «مروان».

(٣) في نهاية الأرب ٢٤/٤٠ «بِشْر بن فلان». وفي فتوح البلدان ٢٦٨ «بُسْر بن أرطاة»، ومثله في: فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢٠٥، والحلّة السيراء ٢/٣٢٤، وقال الدكتور حسين نصّار في تحقيقه لنهاية الأرب ٢١/٤٠ بالحاشية (٢): «والصواب بُسْر بن أرطاة»، فقد ذكر ابن عبد الحكم، والبلاذري أن عُقبة بن نافع أو موسى بن نُصير وجّه به إلى هذه القلعة، وقد بلغ من العمر ٨٢ سنة فافتتحها، وسُمّيت باسمه.

وفي مادّة «مجّانة» قال ياقوت في معجم البلدان ٥/٥٦: بلد بإفريقية فتحه بُسْر بن أرطاة، وهي تسمّى قلعة بُسْر.

ويقول طالب العلم وخادمه المعتني بهذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمري»: إنّ المرّجح عندنا هو أن بُسْر فتح القلعة بالقرب من مُجانة في أيام عُقبة بن نافع، وليس في أيام موسى بن نُصير، إذ أن أكثر المصادر التي ترجمت لسيرته لم تؤخّر وفاته إلى ما بعد أيام عبد الملك بن مروان. (راجع مثلاً: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٠٩، وتاريخ الصحابة لابن حبّان ٤٧ رقم ١٢٩، ومشاهير علماء الأمصار، له، رقم ٣٦٤، وطبقات خليفة ٢٧ و ١٤٠ و ٣٠٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٢٣ - ٢٢٨، وأسد الغابة ١/١٧٩، ١٨٠، وتاريخ الإسلام (٧١ - ٨٠ هـ) ص ٣٦٧ - ٣٧٠ رقم ١٤٤، وغيره من المصادر التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (الحاشية ٤).

ويدعم رأينا ما ذكره ابن الأبّار في: الحلّة السيراء ٢/٣٢٤ «خرج (بُسْر بن أرطاة) مع عقبة بن نافع غازياً وافتتح قلعة من القيروان على ثلاثة أيام فعُرفت بقلعة بُسْر إلى اليوم» وقد قيل إن الذي بعث بُسْراً إلى هذه القلعة هو موسى بن نُصير، والأول أوضح وأصحّ».

(٤) في فتوح مصر، وفتوح البلدان، ونهاية الأرب: «قلعة بُسْر».

في إفريقية من يُنازعه[1].

وقيل: كانت ولاية موسى سنة ثمانٍ وسبعين، استعمله عليها عبد العزيز بن مروان، وهو حينئذٍ على مصر لأخيه عبد الملك.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا مَسْلمةُ بن عبد الملك التُّركَ من ناحية أَذْرَبَيْجان، ففتح حصوناً ومدائن هناك[2].

وحجّ بالناس عمرُ بن عبد العزيز[3].

وكان العُمّال مَنْ تقدّم ذكرهم.

[الوفيات]

وفي هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة[4] بن صُعَير العَذَريُّ[5] حليف بني زُهْرَة، وكان مولده قبل الهجرة بأربع سنين، وقيل: وُلد سنة ستّ من الهجرة.

(صُعَير: بضمّ الصاد، وفتح العين المهملتَين).

وفيها مات ظَليم مولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بإفريقية.

(ظَليم: بفتح الظّاء المعجمة، وكسر اللام).

---

(١) أنظر: فتوح مصر ٢٠٣ ـ ٢٠٥. والإمامة والسياسة ٢/٦١، وفتوح البلدان ٢٦٨، ٢٦٩، وجذوة المقتبس ٣١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٧، والحلّة السيراء ٢/٣٢٤ رقم ١٧٤، وتاريخ خليفة ٣٠٢، ونهاية الأرب ٢٤/٣٩، ٤٠، والبيان المغرب ١/٤٢، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٥، ودول الإسلام ١/٣٧، والبداية والنهاية ٩/٢١، و ١٧١، ونفح الطيب ١/١٤١.

(٢) الطبري ٦/٤٤١، البداية والنهاية ٩/٧٧.

(٣) تاريخ خليفة ٣٠٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١، المحبّر ٢٦، الطبري ٦/٤٤١، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٦.

(٤) أنظر عن (عبد الله بن ثعلبة) في:
تاريخ الإسلام (٨٠ ـ ١٠٠ هـ). ص ١٠٣ رقم ٦٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في (ر): «صعبر العبدلي».

٩٠
ثم دخلت سنة تسعين

ذكر فتح بُخارَى

قد ذكرنا ورود كتاب الحجّاج إلى قُتيبة يأمره بـالتوبـة عن انصرافه عن وَردان خُذاه ملك بخارى، ويعرّفـه الموضـع الذي يـأتي بلده منه، فلمّـا ورد الكتابُ على قتيبـة خرج غازياً إلى بُخَارى سنة تسعين، فاستجاش وَرْدان خُذاه بالصُّغْد والتُّرك مَنْ حوله فأتوه، وقد سبق إليها قُتيبة فحصرها، فلمّا جاءتهم أمدادهم خرجوا إلى المسلمين يقاتلونهم، فقـالت الأزد: اجعلونا ناحيةً وخلّوا بيننا وبين قتلاهم. فقال قتيبة: تقدّموا، فتقدّموا وقاتلوهم قتالاً شـديداً. ثم إن الأزد انهـزموا حتّى دخلوا العسكـر، وركِبهم المشركـون فحطمـوهم حتّى أدخلوهم عسكرهم، وجازوه حتّى ضـرب النّساء وجـوه الخيل وبَكَيْن، فكـرّوا راجعين، فانطوت مجنّبتا المسلمين على التُّرك، فقـاتلوهم حتّى ردّوهم إلى مواقفهم، فـوقف التُّرك على نَشَز، فقال قتيبة: مَنْ يُزيلهم عن هـذا الموضـع؟ فلم يَقْدَم عليهم أحـد من العرب، فأتَى بني تميم فقال لهم: يومٌ كأيّامكم، فأخذ وكيع اللواء وقـال: يا بني تميم أتُسْلِمُـونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرِّف.

وكان هُرَيم بن أبي طَحْمة على خيل تميم، ووكيـع رأسهم، فقال وكيـع: يا هُـرَيم قدّمْ خَيلَك، ودفع إليه الراية، فتقدّم هُرَيم وتقدّم وكيع في الرَّجّالة، فانتهَى هُرَيم إلى نهرٍ بينهم وبين التـرك، فوقف فقـال وكيع: تقـدّمْ يا هـريم، فنظر هـريم نظر الجمـل الهائـج الصّائل وقال: أأقحِم الخيل هذا النهر؟ فإنِ انكشفت كان هلاكها يا أحمق. فقال وكيـع: يا بن اللَّخْناء، أترُدّ أمري! فحذفه بعمودٍ كان معـه، فعبر هُـرَيم في الخيل، وانتهَى وكيـع إلى النهـر، فعمل عليـه جسراً من خشب، وقـال لأصحابـه: من وطّن نفسه على المـوت فليعبُرْ، وإلا فلْيثْبُتْ مكانه. فما عبر معه إلا ثمانمائة رجل، فلمّـا عبر بهم ودنـا من العدوّ قال لهريم: إنّي مُطاعنهم فاشغلْهم عنّـا بالخيـل، فحمل عليهم حتّى خـالطهم، وحمـل هريم في الخيل فطاعنوهم، ولم يزالوا يقاتلونهم حتّى حدروهم من التلّ، ونادى قتيبة: ما ترون العدوّ منهزمين؟ فلم يعبر أحـد النهر حتّى انهـزموا، وعبـر الناسُ، ونـادى قتيبة: مَنْ أتَى برأس فله مائة، فأتي برؤوس كثيرة، فجاء يومئذ أحد عشـر رجلاً من بني قُـرَيع، كـلّ

رجل برأس، فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول: قُرَيعيٌّ. فجاء رجل من الأزد برأس، فقيل له: مَنْ أنت؟ فقال: قُرَيعيٌّ، فعرفه جَهْم بن زَحْر، فقال: كذب، والله إنّه أزْديٌّ. فقال له قتيبة: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: رأيتُ كلّ مَنْ جاء يقول قُرَيعيّ، فظننتُ أنّه ينبغي لكلّ مَن جاء برأس أن يقوله. فضحك قتيبة.

وجُرح خاقان وابنه، وفتح الله عليهم، وكتب [قُتَيْبَةُ] بالفتح إلى الحجّاج[1].

ذكر صلح قُتيبة مع الصُّغْد

لمّا أوقع قُتيبة بأهل بُخَارى هابه الصُّغدُ، فرجع طَرخون ملكهم ومعه فارسان، فدنا من عسكر قتيبة، فطلب رجلاً يكلّمه، فأرسل إليه قتيبةُ حيّانَ النبطيَّ، فطلبَ الصلحَ على فِدية يؤدّيها إليهم، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالح، ورجع طرخون إلى بلاده ورجع قتيبة ومعه نِيْزك[2].

(حيّان: بالحاء المهملة، والياء المشدّدة تحتها نقطتان، وآخره نون).

ذكر غدر نِيزك وفتح الطالَقان

قيل: لمّا رجع قتيبة من بخارى ومعه نِيزك وقد خاف لِما يرى من الفتوح، فقال لأصحابه: أنا مع هذا، ولستُ آمنه، فلو استأذنتُه ورجعتُ كان الرأي. قالوا: افعلْ. فاستأذن قتيبةَ فأذِن له وهو بآمُل، فرجع يريد طخارستان، وأسرع السير حتّى أتى النّوبَهار، فنزل يصلّي فيه ويتبرّك به، وقال لأصحابه، لا أشكّ أنّ قُتيبة قد ندِم على إذْنه لي، وسيبعث إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسي.

وندِم قتيبة على إذنه له، فأرسل إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك، وسار نيزك وتبعه المغيرة، فوجده قد دخل شِعبَ خُلْم[3]، فرجع المغيرةُ، وأظهر نيزك الخلع وكتب إلى أصبهبذ بلْخ، وإلى باذان ملك مَرْو الرُّوذ، وإلى ملك الطّالَقان، وإلى ملك الفارياب[4]، وإلى ملك الجُوزجان أن يدعوهم إلى خلع قتيبة، فأجابوه، فواعدهم الربيعَ أن يجتمعوا

---

(١) الطبري ٦/٤٤٢ ـ ٤٤٤، نهاية الأرب ٢١/٢٨٧، ٢٨٨، وانظر الخبر باختصار شديد في: تاريخ خليفة ٣٠٣، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٦، والبداية والنهاية ٩/٧٧، والعيون والحدائق ٣/٦، والفتوح لابن أعثم ٧/٢٢٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٦، الطبري ٦/٤٤٥، تاريخ بخارى ٧١، ٧٢، نهاية الأرب ٢١/٢٨٨.

(٣) خُلْم: بلدة بنواحي بلخ.

(٤) في الأوربية «الفرياب».

ويغزوا قتيبة، وكتب إلى كابُل شاه يستظهر به، وبعث إليه بثَقَله وماله، وسأله أن يأذن له إن اضطرّ إليه أن يأتيه، فأجابه إلى ذلك.

وكان جبْغويه[1] ملك طخارستان ضعيفاً، فأخذه نيْزك فقيّده بقيدٍ من ذهب لئلاّ يخالف عليه، وكان جبغويه هو الملك، ونيزك عبده، فاستوثق منه وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه. وبلغ قتيبةَ خلعُه قبل الشتاء وقد تفرّق الجُند، فبعث أخاه عبد الرحمٰن بن مسلم في اثني عشر ألفاً إلى البَرُوقان[2]، وقال: أقِمْ بها ولا تُحْدِثْ شيئاً، فإذا انقضى الشتاء سِرْ نحو طَخارستان، واعلم أنّي قريب منك.

فسار، فلمّا كان آخر الشتاء كتب قتيبة إلى نَيْسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود، فقدِموا قبل أوانهم، فسار نحو الطالقان، وكان ملكها قد خلع وطابَقَ نيزكَ على الخلْع، فأتاه قتيبة فأوقع بأهل الطالقان، فقتل من أهلها مقتلةً عظيمةً، وصلب منهم سماطَين أربعة فراسخ في نظامٍ واحد[3]. ثمّ انقضت السنة قبل محاربة نيزك، وسنذكر تمام خبره سنة إحدى وتسعين إنْ شاء الله.

ذكر هرب يزيد بن المهلّب وإخوته من سجن الحجّاج

قيل: وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلّب وإخوته الذين كانوا معه من سجن الحجّاج، وكان الحجّاج قد خرج إلى رُسْتقاباذ للبعث، لأنّ الأكراد كانوا قد غلبوا على فارس، وخرج معه يزيد بن المهلّب وإخوته عبد الملك، والمفضّل في عسكره، وجعل عليهم كهيئة الخندق، وجعلهم في فُسطاطٍ قريب منه، وجعل عليهم الحرس من أهل الشام، وطلب منهم ستّة آلاف ألف، وأخذ يعذّبهم، فكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان ذلك ممّا يغيظ الحجّاج منه. فقيل للحجّاج: إنّه رُمي في ساقه بنشّابة، فثبت نصلُها فيه، فهو لا يمسّها إلّا صاح، فأمر أن يُعذّب في ساقه، فلمّا فعلوا به ذلك صاح، وأخته هند بنت المهلّب عند الحجّاج. فلمّا سمعت صوته صاحت وناحت، فطلّقها الحجّاج، ثمّ إنّه كفّ عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون في التخلّص، فبعثوا إلى أخيهم مروان، وكان بالبصرة، أن يضمن لهم خيلاً، ويُري الناس أنّه يريد بيعها لتكون عدّة. ففعل ذلك، وكان أخوه حبيب يُعذّب بالبصرة أيضاً.

فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً، وأمر لهم بشراب، فسقوا واشتغلوا به، ولبس يزيد

---

(١) في (ب): «جيغويه» و«جيغونة»، و(ر): «جبغيه»، وفي نهاية الأرب ٢٨٩/٢١، «خَبْعويه».

(٢) البروقان: قرية من نواحي بلخ.

(٣) الطبري ٤٤٥/٦ ـ ٤٤٧، نهاية الأرب ٢٨٩/٢١، ٢٩٠، تاريخ اليعقوبي ٢٨٦/٢، البداية والنهاية ٧٧/٩، الفتوح لابن أعثم ٢٢٥/٧ ـ ٢٣٠.

ثياب طبّاخه، وخرج وقد جعل له لحيةً بيضاء، فرآه بعض الحرس فقال: كانت هذه مِشْية يزيد، فجاء إليه فرأى لحيته بيضاء في الليل، فتركه وعاد، فخرج المفضّل ولم يُفطن له، فجاؤوا إلى سفنٍ مُعَدّة فركبوها، يزيد والمفضّل وعبد الملك، وساروا ليلتهم حتّى أصبحوا، فَلَمّا أصبحوا علم بهم الحرسُ، فرفعوا خبرَهم إلى الحجّاج، ففزع وظنّ أنّهم يُفسدون خُراسان ليفتنوا بها، فبعث البريد إلى قتيبة بخبرهم ويأمره بالحذر.

ولمّا دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ من كلب، فأخذوا طريق الشام على طريق السماوة، وأتَى الحجّاج بعد يومين فقيل له: إنّهم أخذوا طريقَ الشام، فبعث إلى الوليد بن عبد الملك يُعلْمه.

ثمّ سار يزيد فقدِم فلسطين، فنزل على وُهَيب بن عبد الرحمن الأزديّ، وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك، فجاء وُهَيب إلى سليمان، فأعلمه بحال يزيد وإخوته، وأنّهم قد استعاذوا به من الحجّاج، قال: فأتِني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حيٌّ. فجاء بهم إليه، وكانوا في مكانٍ آمن.

وكتب الحجّاج إلى الوليد: إنّ آل المهلّب خانوا أمان الله وهربوا منّي ولحِقوا بسليمان. وكان الوليد قد حذرهم، وظنّ أنّهم يأتون خُراسان للفتنة بها، فلمّا علم أنّهم عند أخيه سليمان سكن بعض ما به، وطار غضباً للمال الذي ذهب به، فكتب سليمان إلى الوليد: إنّ يزيد عندي وقد آمنته، وإنّما عليه ثلاثة آلاف ألف، لأنّ الحجّاج أغرمه ستّة آلاف ألف، فأدّى ثلاثة آلاف ألف، والذي بقي عليه أنا أؤدّيه. فكتب الوليد: والله لا أؤمّنه حتّى تبعث به إليّ. فكتب: لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه. فكتب الوليدُ: والله لئن جئتَني لا أؤمّنه. فقال يزيد: أرسِلْني إليه، فوالله ما أُحبّ أن أوقع بينه وبينك عداوةً ولا أن يتشأّم الناس بي لكما، واكتبْ معي بألطف ما قدرتَ عليه.

فأرسله وأرسل معه ابنَه أيّوب، وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مقيَّداً. فقال سليمان لابنه: إذا دخلتَ على أمير المؤمنين، فادخلْ أنتَ ويزيد في سلسلة. ففعل ذلك. فلمّا رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة قال: لقد بلغنا من سليمان. ودفع أيّوب كتاب أبيه إلى عمّه وقال له: يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك، لا تُخفر ذمّة أبي[1] وأنت أحقّ مَنْ مَنَعها، ولا تقطع منّا رجاء مَنْ رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تُذِلّ مَن رجا العزّ في الانقطاع إلينا لعزّ بابك.

فقرأ الوليد كتاب سليمان، فإذا هو يستعطفه ويشفع إليه ويضمن إيصال المال، فلمّا

---

(١) في الأوربية: إنّي.

قرأ الكتاب قال: لقد شققنا[1] على سليمان. وتكلّم يزيد واعتذر، فآمنه الوليدُ، فرجع إلى سليمان، وكتب الوليدُ إلى الحجاج: إنّي لم أصل إلى يزيد وأهله مع سليمان، فاكففْ عنهم. فكفّ عنهم.

وكان أبو عُيَيْنَة بن المهلّب عند الحجّاج عليه ألف ألف، فتركها وكفّ عن حبيب بن المهلّب.

وأقام يزيد بن المهلّب عند سليمان يهدي إليه الهدايا ويصنع له الأطعمة، وكان لا يأتي [يزيدَ] هديّةٌ إلّا بعث بها إلى سليمان، ولا يأتي سليمانَ هديّةٌ إلّا بعث بنصفها إلى يزيد، وكان لا تعجبه جارية إلّا بعث بها إلى يزيد[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا مَسْلمة بن عبد الملك أرضَ الروم، ففتح الحصون الخمسة التي بسُورية[3]،

وغزا عبّاس بن الوليد حتّى بلغ أرْزَن[4] وبلغ سورية[5].

وفيها استعمل الوليدُ بن عبد الملك قُرّةَ بن شريك على مصر، وعزل أخاه عبد الله بن عبد الملك[6].

وفيها أسرت الروم خالد بن كَيْسان صاحب البحر، فأهداه ملكهم إلى الوليد[7].

وحجّ بالناس هذه السنة عمرُ بن عبد العزيز[8]، وكان أميراً على مكّة والمدينة والطائف[9]. وكان على العراق والمشرق كلّه الحجّاج بن يوسف، وعامله على البصرة

(١) في الأوربية: شفعنا.

(٢) الطبري ٦/٤٤٨ - ٤٥٣، نهاية الأرب ٢١/٣١٦ - ٣١٩، البداية والنهاية ٩/٧٨، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٧/٢٠٩ - ٢١٤، والبدء والتاريخ ٦/٣٧.

(٣) الطبري ٦/٤٤٢، تاريخ خليفة ٣٠٣، تاريخ العظيمي ١٩٦، نهاية الأرب ٢١/٣١٢.

(٤) الأرْزَن: بفتح الألف، مدينة مشهورة قرب خلاط بنواحي أرمينية. (معجم البلدان ١/١٥٠).

(٥) تاريخ خليفة ٣٠٣، الطبري ٦/٤٤٢، نهاية الأرب ٢١/٣١٢، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٧.

(٦) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٦١ - ٦٤، تاريخ الطبري ٦/٤٤٢، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٧، نهاية الأرب ٢١/٣١٩، البداية والنهاية ٩/٧٧، النجوم الزاهرة ١/٢١٧، ٢١٨، حسن المحاضرة ٢/٦، ٧.

(٧) الطبري ٦/٤٤٢، نهاية الأرب ٢١/٣١٩، البداية والنهاية ٩/٧٧.

(٨) تاريخ خليفة ٣٠٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١، المحبّر ٢٦، الطبري ٦/٤٤٧، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٣١٩.
وفي تاريخ العظيمي ١٩٦ «حج بالناس الوليد بن عبد الملك وهو خليفة».

(٩) الطبري ٦/٤٤٧.

الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أُذَيْنة، وعلى خُراسان قتيبة بن مسلم، وعلى مصر قُرّة بن شريك[1].

[الوَفَيات]

وفيها مات أَنس بن مالك[2] الأنصاريُّ، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: ثلاثٍ وتسعين، وكان عمره ستاً وتسعين سنة، وقيل: مائة وستّ سنين، وقيل: وسبع، وقيل: وثلاث.

وفيها مات أبو العالية[3] الرياحيُّ، في شوّال.

(وفيها توفّي نصر بن عاصم[4] اللَّيثيُّ النحويُّ، أخذ النَّحْو عن أبي الأسود الدُّؤَلي، وقيل: مات سنة تسعين)[5].

---

(١) الطبري ٦/٤٤٧.

(٢) أنظر عن (أنس بن مالك) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٨٨ رقم ٢١٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (أبي العالية = رُفَيْع) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٤١ و ٥٢٩ رقم ١٨٨ و ٤٧٠ وفيه مصادر ترجمته

(٤) أنظر عن (نصر بن عاصم) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢١٠ رقم ١٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) ما بين القوسين من (ب).